القاهرة

يناير ٢٠١١

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة
٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة
٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩ - ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤
البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

محمد يونس هاشم

القاهرة
يناير ٢٠١١

رواية

دار زهور المعرفة والبركة
٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

اسم الكتاب : القاهرة ، يناير ٢٠١١

اسم المؤلف : محمد يونس هاشم

الناشـــــــر : دار زهور المعرفة والبركة

٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

هاشم، محمد يونس

القاهرة يناير ٢٠١١: رواية/ محمد يونس هاشم - الجيزة : دار

زهور المعرفة والبركة، ٢٠١٣.

١٨٩ص؛ سم ١٤×٢١.

تدمك: ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢١٢٩

القصص العربية

العنوان

813

رقم الإيداع: ٢٠٢٢ / ٢٠١٣

١

في مكتب واسع مستطيل الشكل في مواجهة بابه مكتب كبير يجلس خلفه رجل في الخمسين من عمره أبيض البشرة ذو شعر كثيف يميل إلى الصفرة يرتدي بدلة حديثة زيتية ورابطة عنق صفراء أمام المكتب يوجد كرسيان من الجلد أمامهما من جهة اليسار تمتد كنبة طويلة من نفس طراز الكرسيين ، وعلى يمين المكتب مكتبة كبيرة بها جهاز تليفزيون وبعض الكتب والتحف الصغيرة ، وخلف الرجل توجد لوحة كبيرة مكتوبة عليها باللغة الألمانية " المدرسة الألمانية بالقاهرة " وعلى المكتب توجد عدة سجلات على اليمين وفوق المكتب مجسم خشبي على شكل هرم ذي قاعدة مستطيلة محفور فيه د. فيلهالم مدير المدرسة .

على الكرسي اليمين أمام المكتب كان يجلس رجل أنيق مهندم الثياب يرتدي بدلة كاملة كأنه ذاهب لمقابلة شخصية مهمة .

بعد أن رحب د. فيلهالم بالزائر قال له : هل من خدمة أقدمها لسيادتك ؟

– أنا سكرتير السفير الإسرائيلي في مصر السيد ليفانون .

وقف د. فيلهالم ومد يده وقال وهو يبتسم ابتسامة دهشة :

– ولماذا أخبرت الساعي أنك ولي أمر طالب بالمدرسة ؟!

ثم استدرك قائلاً : فهمت.. فهمت.. أهلاً وسهلاً .. مرحباً بك.
وضغط على زر أمامه فأتى ساعي مكتبه مسرعاً .

- ماذا تريد أن تشرب معي ؟
- لا.. شكراً .
- لابد من أن تتناول شيئاً .
- شكراً .. لابد أن أعود سريعاً .. رئيسي في العمل ينتظرني .

أشار د. فيلهالم للساعي أن ينصرف ويغلق الباب ، ولا يدخل أحداً .

- سأدخل في الموضوع مباشرة .. الحقيقة أن سيادة السفير علم مؤخراً بالندوة التي تنون عقدها الاثنين القادم .
- تقصد الندوة الدينية ؟
- نعم .
- هذه ندوة تحرص عليها المدرسة كل عام لتعريف طلاب السنة النهائية بالأديان السماوية والرد على استفسارات الطلاب حول الإسلام والمسيحية .
- سيادة السفير يتساءل لماذا لا تدعون حاخاماً يهوديّاً ليتحدث عن الدين اليهودي ويجيب عن تساؤلات طلاب المدرسة؟

قال د. فيلهالم محاولاً إخفاء دهشته :

- لأن المدرسة ليس فيها طلاب يهود . ومبلغ علمي أن أبناء الدبلوماسيين الإسرائيليين في مصر يدخلون المدرسة الأمريكية بالقاهرة .

– نعم هذا حق ، لكن من حق الطلاب الألمان والمصريين أن يتعرفوا على الديانة اليهودية كدين سماوي مثل الإسلام والمسيحية.

قال د. فيلهالم كالمعتذر : في الحقيقة أن هذه هي تقاليد المدرسة ولا أستطيع الخروج عليها إلا بعد العودة إلى المسئولين عن التعليم في ألمانيا .

قال سكرتير السفير دون تردد : أنا على ثقة تامة أن المسئولين الألمان لا يرفضون طلباً لإسرائيل .

ورغم علم د. فيلهالم أن المسئولين في ألمانيا يطلبون ود إسرائيل ولا يردون لهم طلباً إحساساً بعقدة الذنب من جراء محرقة هتلر لليهود إلا أنه أرسل إلى وزير التعليم الألماني ماكسيمليان يطلب رأيه في الموضوع .

***

٢

في قاعة اجتماعات كبيرة تسع خمسمائة مقعد على أربعة مستويات متدرجة ، جدران القاعة مغطاة كلها بخشب عسلي اللون ، وتغطي نوافذها ستائر رقيقة بيضاء فوقها ستائر سميكة بنية مطوية ، في صدر القاعة مكتب ضخم مستطيل خلفه سبعة كراس كبيرة .

على السبورة التي خلف المكتب الضخم علقت لافتة كبيرة مكتوب عليها بالخط الكبير ، وباللغتين الألمانية ، والإنجليزية .

الندوة الدينية لطلاب السنة النهائية

الأربعاء ٢٠١١/١/٤

جلس د. فيلهالم على الكرسي الرابع خلف المكتب الضخم على يمينه جلس رجلا دين : حاخام يهودي ، وقس مسيحي ، وعلى يساره جلس شيخ أزهري ذو لحية خفيفة .

شغل بعض الطلاب الصفين الأماميين ، وتناثر آخرون داخل القاعة ، لم يكن يزيد عدد الطلاب جميعاً عن الخمسين طالباً منهم خمسة من المدرسة الأمريكية ، وبقية الطلاب من المدرسة الألمانية : مصريون ، وألمان .

بدأ مدير المدرسة الندوة قائلاً : كما هي عادة المدرسة الألمانية بالقاهرة في كل عام أن تتشرف باستضافة ممثل الأزهر الشيخ مصطفى عبد اللطيف ليلقي كلمة عن الإسلام ، ويجيب عن أسئلتكم ، كما تتشرف المدرسة باستضافة ممثل الكنيسة المصرية القس زكريا رفعت ، ولأول مرة يشرفنا هذا العام الحاخام شمعون بنيامين وبعض طلاب المدرسة الأمريكية .

أتمنى أن يكون هذا الحوار ممتعاً مثل كل عام وأن تكون المناقشة هادئة توحد ولا تفرق .. تجمع ولا تشتت ، كما أتمنى أن يلتزم الطلاب من أبناء المدرسة الألمانية والمدرسة الأمريكية أدب الحوار أما السادة علماء الدين فأنا على ثقة من أنهم جميعاً على قدر المسئولية ، كما أريد أن أوضح أن لغة الخطاب في هذه الندوة ستكون اللغة الإنجليزية لأني أعتقد أن كل الحاضرين يجيدون الحديث بها .

وقبل أن نبدأ ندوتنا أدعو حضراتكم إلى الوقوف دقيقة حداداً على أرواح شهداء كنيسة القديسين .

وقف الجميع وساد المكانَ صمتٌ حزينٌ زرفت خلاله بعض العيون قطرات ساخنة من الدموع .

وبعد أن أشار د. فيلهالم للجميع بالجلوس فوجئ برفع أحد طلاب المدرسة الألمانية يده يطلب الكلام فسمح له د. فيلهالم ، على أن يعرف الحاضرين باسمه أولاً .

– اسمي ناصر ، وكما يبدو من ملابسي أني طالب بالمدرسة الألمانية ، أريد أن أسأل د. فيلهالم ، لماذا يحضر الحاخام هذه الندوة مع أن مدرستنا ليس بها يهود ؟!

لم يفاجئ السؤال د. فيلهالم فقد كان يتوقعه لذا أسرع يقول : أليست الديانة اليهودية إحدى الديانات السماوية ؟ .. وأليس من العدل أن نستمع إلى من يحدثنا عنها ، كما نستمع إلى من يحدثنا عن الإسلام والمسيحية ؟ كما أن اليهود ليسوا فقط جيران العرب وبينهم وبينكم معاهدات سلام بل إنكم أولاد عمومة أيضاً .

ما كاد د. فيلهالم ينتهي من كلامه حتى سارع ناصر يقول : إذا كان الأمر كذلك فهل يسمح سيادة الحاخام أن يقول لنا: لماذا يكره العرب إسرائيل إذن ؟

إذا كان السؤال الأول توقعه د. فيلهالم فإن السؤال الثاني فاجأه لكنه رد قائلاً : إن هذا السؤال خارج عن موضوع الندوة .

ناصر : أليس سيادة الحاخام قد أتى ليتحدث عن اليهودية ويجيب عن أسئلة الطلاب ؟

د. فيلهالم : بلى .. ولكن ...

تعالت أصوات كثيرة من طلاب المدرسة الألمانية تطالب الحاخام الإسرائيلي بالإجابة عن هذا السؤال أولاً قبل بداية الندوة.

لم يجد د. فيلهالم مفراً من توجيه السؤال للحاخام شمعون .

قال الحاخام شمعون : هذا السؤال كان لا ينبغي أن يوجه إليّ إنما كان يجب أن يوجه إلى من يكرهوننا ، لكن لا بأس من الإجابة عليه ؛ فهذه فرصة لكي نصحح بعض الأفكار الخاطئة التي يعتنقها العرب عن الإسرائيليين . فالعرب يعتقدون أننا اغتصبنا أرضهم مع أن الأرض التي يسمونها أرض فلسطين هي في الحقيقة أرضنا نحن والتاريخ يؤكد ذلك .

حدثت همهمة معارضة داخل القاعة وبدأت حوارات جانبية بين طلاب المدرسة الألمانية والطلاب المدرسة الأمريكية ، وتدخل د. فيلهالم ورجا الطلاب جميعاً التزام الهدوء حتى يتمكن الحاخام من إتمام كلامه .

توقفت الهمهمة والحوارات الجانبية . وأكمل الحاخام كلامه قائلاً: سأحكي لأبنائنا الطلاب القصة من البداية حتى يتضح الأمر. منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة بنى الملك داود مملكته على أرض كنعان التي منحها الله لشعب إسرائيل ، واستمر شعب إسرائيل يسكن هذه الأرض ويعمرها حتى استولى عليها سرجون الثاني الآشوري وتم ترحيل زعماء شعب إسرائيل ورءوس قبائلهم إلى آشور وإحلال آراميين وبابليين محلهم عام ٧٢١ ق.م . وهذا ما يُسمَّى في التاريخ " السبي الآشوري " .

ثم قاد نبوختنصر البابلي هجوماً على مملكة إسرائيل عام ٥٨٦ ق.م. وأسقط القدس ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود وساقهم إلى بابل وهذا ما يُسمَّى "السبي البابلي" .

وفى سنة ٦٨ ميلادية، حاصر نيرون أورشليم لمدة ٤٧ يوماً ومات أكثر من ٤٠ ألف يهودي ، وفى سنة ٧٠ م ذهب تيطس على رأس جيش روماني وحطم المدينة وهدم الهيكل ولم يترك حجراً على حجر وتشتت اليهود منذ ذلك التاريخ في أرجاء الأرض .

ظل شعب إسرائيل يعيش حياة البؤس والفقر والاضطهاد في أرض الشتات حتى شاءت حكمة الرب أن يعيدهم إلى أرض الميعاد أرضهم التي شتتوا منها منذ نحو ثلاثة آلاف عام هذه هي القصة ، وأعجب لماذا يغضب العرب من عودة الحق لأصحابه ؟ ولم يحاربوننا ويضطهدوننا مثل سائر الأمم التي عشنا على أرضها طوال عصور الشتات ؟

طلب الشيخ مصطفى التعليق فسمح له د. فيلهالم .

الشيخ مصطفى : على غير النظام المتبع في هذه المدرسة الذي يقضي أن يكتفي ممثل كل دين بالحديث عن دينه فقط ولا يعلق على كلام صاحب الدين الآخر إلا أني أجد نفسي مضطراً أمام المغالطات الكثيرة التي ذكرها الحاخام أن أصحح ما ذكر من وقائع التاريخ .

هتف أحد الطلاب الذين حضروا مع الحاخام معترضاً : أرجو د. فيلهالم الذي يدير الحوار عدم السماح بأي خروج عن النظام المتبع الذي يقضي عدم رد أحد من رجال الدين على غيره إنما الحوار يكون مع الطلاب وليس بين رجال الدين فهذه ليست مناظرة دينية .

عادت همهمة الطلاب مرة ثانية تعترض على كلام طالب المدرسة الأمريكية فسارع د. فيلهالم قائلاً: أرجوكم أبنائي الطلاب التزام الهدوء ، أنا أقدر أن هذا الحوار حوار استثنائي وكان الهدف من عقد مثل هذه الحوارات هو تعريف طلاب المدرسة بمبادئ الديانات السماوية من أجل التقارب بينها وليس الهدف منها هو عقد مناظرة دينية تثير الفتن بين الطلاب لذا فإني مضطر إلى الاكتفاء بهذا القدر من كلام الشيخ مصطفى في رده على الحاخام شمعون ونعود إلى النظام المتبع في مثل هذه الندوات .

قال ناصر معترضاً : د. فيلهالم .. الموضوع ليس موضوعاً دينياً إنما هو موضوع سياسي يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي ولقد تحدث الحاخام وقال ما شاء دفاعاً عن اليهود الملاعين والإسرائيليين المجرمين فمن حق الشيخ مصطفى أن يرد فالدعاية الصهيونية.

قاطع د. فيلهالم ناصراً بحدة ظاهرة : ناصر .. عليك أن تلزم أدب الحوار ولا تسب أحداً . والآن سأعطي الكلمة للشيخ

مصطفى للرد على كلام الحاخام شمعون في إيجاز شديد ثم نعود إلى موضوع الندوة.. تفضل يا شيخ مصطفى: في البداية يجب أن نفرق بين الديانة اليهودية واليهود ، والصهيونية ودولة إسرائيل . فإذا كانت الديانة اليهودية ديانة سماوية كسائر الديانات السماوية لأتباعها كل الاحترام فإن الصهيونية حركة سياسية عنصرية تتستر خلف الدين من أجل تحقيق مطامعها بالاستيلاء على حقوق غيرها ومن حسن الحظ أن كثيراً من اليهود ليسوا صهاينة .

قاطع د. فيلهالم الشيخ مصطفى قائلاً : نشكر الشيخ مصطفى ونعود إلى موضوع الندوة .

حاول الشيخ مصطفى تكملة كلامه ، وأخذ حقه في الرد على الصهيونية كما أخذ الحاخام وقته في الدفاع عنها ، ولكن د.فيلهالم أصر على إنهاء الموضوع .

وهنا تدخل القس زكريا يطلب الكلمة فسمح له د. فيلهالم رغبة في تخفيف حدة الموقف لما يعرف من العداء الشديد بين المسلمين واليهود .

القس زكريا : أنا أتفق مع أخي الشيخ مصطفى في أن هناك فرقاً كبيراً بين الديانة اليهودية والبدعة الصهيونية والدليل على ذلك أن تيودور هرتزل عندما دعا إلى إقامة دولة قومية لليهود في فلسطين عارضه معظم حاخامات اليهود في بلاد العالم ؛ لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ،

فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد المسيح ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار المسيح المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب.

صاح طالب المدرسة الأمريكية ثانية قائلاً : هذا كذب وافتراء هكذا أنتم أيها العرب لا تعرفون غير الأكاذيب ...

سارع د. فيلهالم قائلاً : لا .. لا .. هذا لا يصح .. يجب أن يلتزم الجميع أدب الحوار، ولا يتطاول أحد على غيره ؛ لذا فأنا أرى غلق باب المناقشة في هذا الموضوع ونعود إلى ندوتنا.

طلب الحاخام شمعون الكلمة فسمح له د. فيلهالم : أولاً أنا أعتذر نيابة عن الطالب عزرا عما بدر منها من إساءة لسيادة القس زكريا ، وأرجو أن يقبل اعتذاري . ثانياً أنا لا مانع عندي من مواصلة الحديث في الموضوع الذي طرحه ناصر .. فنحن شعب تربينا على الحوار وقبول الآخر ، ولدينا أحزاب كثيرة في إسرائيل تتنافس على الحكم ، وحرية الرأي مكفولة للجميع فنحن دولة ديمقراطية ، بعكس دول أخرى كثيرة تُزَور فيها الانتخابات فلا تسمع لشعوبهم صوت ، يحكمهم رؤساؤهم بقانون الطوارئ

منذ نصف قرن فيقبلون الذل ولا يثورون .. أليس هذا صحيحاً يا ناصر ؟ خير لكم – أيها الشباب– بدلاً من دراسة تاريخ البطش والإرهاب أن تدرسوا معنى الحرية في Freedom House .

قال ناصر بحدة ظاهرة : لا شأن لك ببلادنا .. وحدثني عن أية حرية تتكلم .. حرية اغتصاب أرض الغير ، وتشريد أهلها .. حرية قتل الأبرياء والأطفال والنساء كل يوم ..

قاطع عزرا ناصراً بانفعال شديد : عجباً لكم أيها العرب حكامكم يمارسون معكم أبشع أنواع القتل والتعذيب ، ولا تفتحون أفواهكم بالاعتراض ، وعندما يدافع الإسرائيليون عن أنفسهم ضد المتطرفين والإرهابيين العرب تشعلونها حرباً ضدهم .

قاطع الشيخ مصطفى عزرا قائلاً : الإسلام يعلمنا أن الظلم ظلمات يوم القيامة .. وأن لكل ظالم نهاية ، وكل حكام العرب لا يحكمون بشريعة الإسلام بل هم خارجون عليها ، ولم يدع أحد من المسلمين أنه المسيح المنتظر ، أما أنتم فتسمون بن جوريون أول رئيس للكيان الصهيوني الذي أباد الفلسطينيين كما أبادهم يوشع من قبل فتسمونه داود الصغير .. الدين عندنا ...

وجد د. فيلهالم أن الحوار أخذ منحى مختلفاً تماماً عن المرسوم له وينذر بعواقب وخيمة فقاطع الشيخ مصطفى قائلاً : أن آسف لا أستطيع أن أكمل الندوة بهذه الطريقة ؛ لقد تحول الحوار إلى جدال

شديد وأخشى أن يتحول إلى صدام ، وهذا مالا أقبل به في المدرسة ولذا قررت ...

قاطع الحاخام شمعون د. فيلهالم قائلاً : د. فيلهالم .. نحن دولة ديمقراطية نربي أولادنا على الحوار والنقاش .. ولا نخشى من الصدام ، لسنا مثل غيرنا الحوار عندهم ليس باللسان إنما بالسلاح والقتل، كنت انتظر من الشيخ مصطفى بدلاً من حديثه عن الظلم وابن جوريون يحدثنا عمن كان وراء تفجير كنيسة القديسين .. يقول لنا من قتل أكثر من ٢٣ مسيحيًا في ليلة عيدهم ، من حوَّل فرحة المسيحيين إلى مأتم قبل أن يتكلم عن ابن جوريون الزعيم الديمقراطي .. ونحن لا مانع عندنا من مواصلة الحوار في أي موضوع تشاءون إلا إذا كان الطلاب المصريون ورجال دينهم يخشون أن تتحول الندوة إلى كنيسة قديسين ثانية .

حدثت جلبة بين الطلاب وتعالت أصواتهم بالمطالبة بمواصلة الندوة .

عاد د. فيلهالم إذا كان هذا هو رأي الحاضرين جميعاً فأنا مضطر لمواصلة الندوة ، لكن أرجو من الجميع التزام الهدوء ، وعدم التكلم إلا بإذن حتى يعرف كل إنسان وجهة نظر الآخر .

رفع كثير من الطلاب المصريين والأمريكيين أيديهم طلباً للكلمة، كما رفع رجال الدين الثلاثة أيديهم يطلبون الكلمة .

كان سيادة الحاخام آخر المتحدثين ومن قبله تحدث الشيخ مصطفى فلنستمع الآن لكمة القس زكريا .

قال القس زكريا وقد أثاره كلام الحاخام :

– شكراً لسعة صدر د. فيلهالم وقبوله مواصلة الندوة ، وأقول لسيادة الحاخام إننا – المصريين – لا نرفض الحوار أبداً ، بل نرحب به ، ومحاولته استغلال مأساة كنيسة القديسين للوقيعة بين المسلمين والمسحيين مقضي عليها بالفشل وما بين المصريين من حب لا يحتاج إلى دليل .. أتدري يا حضرة الحاخام من أول من هنأني بعيد الميلاد المجيد ؟ إنهم أصدقائي وجيراني المسلمين ، وفور وقوع الحادثة انهالت عليَّ تعازيهم ، وسوف تثبت التحقيقات أن أيدٍ خارجية خفية وراء كل فتنة طائفية . فالمصريون هم من أووا ونصروا مريم العذراء وابنها المسيح ويوسف النجار عندما لجئوا إليهم .. ومصر هي التي آمنت بالمسيحية عندما بشر بها القديس مرقس الرسول .. ليس المصريون هم الذين رفضوا حوار المسيح وتعاليمه السامية وأسلموه لبيلاطس ليصلبه فأصدر الحكم بصلبه ليس عن قناعة بذنبه، بل كما تخبرنا الأناجيل، خوفًا من اليهود الذين هددوا برفع الأمر إلى الإمبراطور واتهام بيلاطس بالخيانة بسبب تبرئته المسيح الذي صرَّح بأنه ملك وهي تهمة سياسية خطيرة تحت حكم الرومان .. أما تسلط الحكام العرب على شعوبهم فهذا موضوع آخر .

طلب أحد الطلاب اليهود الكلام فأعطاه د. فيلهالم الكلمة بعد أن طلب منه أن يعرف نفسه أولاً .

– اسمى : بنيامين .. طالب في المدرسة الأمريكية أريد أن أسأل.. لماذا هذا الحقد الشديد الذي يملأ صدور العرب علينا ؟! ولماذا علينا وحدنا علينا أن نتحمل الاضطهاد هذا التاريخ الطويل؟ أما آن الوقت لكي نعيش في سلام كسائر الأمم ؟

ألقى بنيامين تساؤلاته بلهجة تنضح حزناً وأسى ، وأسلوب يثير الشفقة والعطف.

طلب الشيخ مصطفى من د. فيلهالم أن يرد على بنيامين فأذن له ورجاه أن يتجنب إثارة الطلاب وأن تكون ردوده غير حماسية .

قال الشيخ مصطفى بلهجة هادئة حنونة : يا بنيامين .. نحن العرب طلاب حق وسلام يقول الله تعالى في القرآن الكريم {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ، والإنجيل يقول : " الله محبة " و نحن العرب لسنا طلاب حرب إنما دعاة سلام إننا نريد السلام العادل الشامل الدائم الذي يعيد الحقوق لأصحابها ، لا نريد سلاماً يقوم على اغتصاب حق الآخرين .. فأرض فلسطين أرض عربية ، العرب الكنعانيون كانوا أول من سكنها خلال الألف الثالثة قبل الميلاد قبل أن يدخلها بنو إسرائيل مع يشوع بألف وثمانمائة عام ، وقبل أن يقيم فيها داود مملكته بحوالي ألفي عام .. فقد أقام داود عليه السلام مملكته بعد

قليل من سنة ألف قبل الميلاد، وما مثل اليهود الذين احتلوا القدس إلا كمثل الفرس والرومان والصليبيين الذين احتلوها زمناً ثم طردوا منها وبقي العرب الفلسطينيون فيها طوال هذه الآلاف الخمسة لم يغادروها إلا على يد اليهود الصهاينة في العصر الحديث الذين شردوا منهم ٣,٤ مليون نسمة مسجَّلون في سجلات وكالة إغاثة وتشغيل الاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى UNRWA .

صاح عزرا دون إذن يقول موجهاً كلامه لزملائه اليهود : لا يخدعنكم أسلوب هذا الشيخ الهادئ الناعم فهو إرهابي متطرف يريد أن يبيد يهود إسرائيل ولا يبقي فيها إلا العرب .. والله لو امتلك هؤلاء العرب القوة ما أبقوا على واحد منا في إسرائيل فإما الهجرة وإما القتل ..

قاطع طالب من المدرسة الألمانية طويل القامة عريض المنكبين حاد الطبع عزرا قائلاً : والله لولا حكامنا لطهرنا بلادنا من نجاستكم ..

قال عزرا متهللاً : ها هم يعترفون .. ألم أقل لكم إنهم إرهابيون.. إنهم ...

وتدخل د. فيلهالم ليعيد الهدوء إلى الندوة مرة ثانية ، وبعد أن أسكت زياداً ، وعزرا قال وقد رأى إصرار الحاخام على الكلام والآن من حق الحاخام شمعون أن يرد .

– إن ما قاله الشيخ مصطفى يردده دائماً المتطرفون المسلمون....

تعالت أصوات الطلاب بين مؤيد ومعارض ، واشتبك زياد وعزرا من جديد في مشادة كلامية .

قال د. فيلهالم بلهجة تحذيرية أرجوكم التزموا الهدوء وإلا أنهيت الندوة ، وطلب من الحاخام ألا يستخدم الكلمات المثيرة لمشاعر المصريين .

– كنت أقول إن ما قاله الشيخ مصطفى لا حقيقة له ، فاليهود هم أول من بنى مدينة القدس وسكنوا أرض كنعان ، ولا ننكر أن كان قبلهم بعض القبائل الرعوية الوثنية التي لا يُعرف لهم وطن ولا دين ، أما اليهود فهم أول من عبد الإله الواحد، واستحقوا أن يكونوا شعبه المختار ، فنصرهم الله على القبائل الرعوية الوثنية ، وحقق لهم وعده بسكنى أرض كنعان .. أقام داود أول مملكة على أرض كنعان وبنى ابنه سليمان الهيكل بيت الله في القدس ، ثم كان ما كان من السبي الآشوري، والبابلي ، والروماني ...

استأذنت طالبة أن تسأل فأذن لها د. فيلهالم .

– اسمى : سها .. طالبة في المدرسة الألمانية ، أريد أن أسأل السادة علماء الدين .. لماذا تضطهد الشعوب اليهود ؟ أليس غريباً أن شعباً بعينه يتعرض للاضطهاد من سائر الأمم القديمة والوسيطة والحديثة ؟!

أشار كل واحد من الثلاثة للآخر أن يبدأ بإجابة السؤال مؤثراً غيره على نفسه ، وتحت الإلحاح قبل الحاخام أن يبدأ .

– الحقيقة أني أتساءل مثلك .. لماذا تضطهد الشعوب شعب الرب ؟ ولا أجد إجابة إلا أن من يضطهد شعب الرب ما هم إلا أعداء الرب .

أشار القس زكريا للشيخ مصطفى أن يتكلم ، لكن الشيخ مصطفى أصر على أن يكون آخر المتحدثين .

قال القس بلهجة لا تخلو من حزن وألم : ألا يستحق من رمى مريم العذراء بالزنا ، وكفر بالمسيح ابن الله ، وكان وراء صلبه ألا يستحق هؤلاء أن يعاقبهم الله ؟ وأنا استأذن في أن أقرأ عليكم جزءاً ممن فاله يسوع لهم .

وهنا أخرج القس الإنجيل من حقيبته وأخذ يقلب بسرعة صفحاته ثم توقف عن صفحة . وقال سأقرأ لكم جزءاً مما جاء في أنجيل متى الإصحاح ٢٣ وبدأ يقرأ القس بهدوء ودون إثارة :

" 13 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ !فَإِنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ، فَلاَ أَنْتُمْ تَدْخُلُونَ، وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ !

14 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تَلْتَهِمُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَتَتَذَرَّعُونَ بِإِطَالَةِ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ سَتَنْزِلُ بِكُمْ دَيْنُونَةٌ أَقْسَى !

15 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا مُتَهَوِّداً وَاحِداً؛ فَإِذَا تَهَوَّدَ جَعَلْتُمُوهُ أَهْلاً لِجَهَنَّمَ ضِعْفَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْه ! ...

23 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تُؤَدُّونَ حَتَّى عُشُورَ النَّعْنَعِ وَالشِّبِثِّ وَالْكَمُّون، وَقَدْ أَهْمَلْتُمْ أَهَمَّ مَا فِي الشَّرِيعَة: الْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالأَمَانَةَ. كَانَ يَجِبُ أَنْ تَفْعَلُوا هَذِه وَلاَ تُغْفِلُوا تِلْكَ !

24 أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! إِنَّكُمْ تُصَفُّونَ الْمَاءَ مِنَ الْبَعُوضَة، وَلَكِنَّكُمْ تَبْلَعُونَ الْجَمَلَ !

25 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تُنَظِّفُونَ الْكَأْسَ وَالصَّحْفَةَ مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهُمَا مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئَتَان بِمَا كَسَبْتُمْ بِالنَّهْبِ وَالطَّمَعِ !

26 أَيُّهَا الْفَرِّيسيُّ الأَعْمَى، نَظِّفْ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ لِيَصِيرَ خَارِجُهَا أَيْضاً نَظِيفاً !

27 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ كَالْقُبُورِ الْمَطْلِيَّةِ بِالْكِلْسِ :تَبْدُو جَمِيلَةً مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهَا مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئَةٌ بِعِظَامِ الْمَوْتَى وَكُلِّ نَجَاسَة !

28 كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً، تَبْدُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَاراً، وَلَكِنَّكُمْ مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئُونَ بِالرِّيَاءِ وَالْفِسْقِ !

صاح عزرا يكفي هذا .. يكفي هذا .. لا نريد المزيــد .. هــل تريد أن تقرأ الإنجيل كله .. يكفي هذا فقد عرفنا رأي إلهــك في اليهود !!

تعالت أصوات أخرى في القاعة : أكمل .. أكمل .. أكمل

قال د. فيلهلم : أكمل يا سيادة القس لكن الرجاء بإيجاز شديد أمامك دقيقة واحدة فقط حتى تنتهي من إجابتك عن السؤال .

استأنف القس زكريا القراءة بلهجة حادة نوعاً ما موجهاً كلامه لعزرا : " 29 الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبيَاء وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الأَبْرَار .

30 وَتَقُولُونَ: لَوْ عِشْنَا فِي زَمَنِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي سَفْك دَمِ الأَنْبيَاء .

31 فَبِهَذَا تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسكُمْ بِأَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَاتِلي الأَنْبِيَاءِ !

32 فَأَكْمِلُوا مَا بَدَأَهُ آبَاؤُكُمْ لِيَطْفَحَ الْكَيْلُ !

33 أَيُّهَا الْحَيَّاتُ، أَوْلادَ الأَفَاعي! كَيْفَ تُفْلِتُونَ منْ عقَاب جَهَنَّمَ؟

34 لذَلكَ: هَا أَنَا أُرْسلُ إِلَيْكُمْ أَنْبيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَمُعَلِّمينَ، فَبَعْضَهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلبُونَ، وَبَعْضَهُمْ تَجْلدُونَ في مَجَامعكُمْ، وَتُطَارِدُونَهُمْ منْ مَدينَة إِلَى أُخْرَى .

35 وَبِهَذَا يَقَعُ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفكَ عَلَى الأَرْضِ :مِــنْ دَمِ هَابيلَ الْبَارِّ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذي قَتَلْتُمُوهُ بَــيْنَ الْهَيْكَــلِ وَالْمَذْبَحِ .

36 الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إنَّ عقَابَ ذلكَ كُلّه سَيَنْزلُ بهَذَا الْجيلِ .
37 يَاأُورُشَليمُ، يَاأُورُشَليمُ، يَاقَاتلَةَ الأَنْبيَاء وَرَاجمَةَ الْمُرْسَلينَ إلَيْهَا! كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، فَلَمْ تُريدُوا !
38 هَا إنَّ بَيْتَكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً ! " اعتذر عن الإطالة وأترك الكلام لأخي الشيخ مصطفى .

– الحقيقة إن القرآن الكريم يؤكد ما قاله أخي القس زكريا فكل اضطهاد تعرض اليهود له كان نتيجة كفرهم بالله وقتلهم الأنبياء ونقضهم العهود ، وإشعالهم الحروب ، والإفساد في الأرض وأكتفي بذكر آية واحدة يقول تعالى :

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ وَلُعنُواْ بمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان يُنفقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزيدَنَّ كَثيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزلَ إلَيْكَ من رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إلَى يَوْم الْقيَامَة كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْب أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحبُّ الْمُفْسدينَ } (المائدة : ٦٤)

وهنا كان عزرا قد وصل إلى قمة انفعاله فانطلق كالسهم يسب ويلعن ويتهم العرب بمعادة السامية ، فقام زياد يرد عليه وبعد جهد كبير استطاع د. فيلهالم أن يعيد الهدوء إلى الندوة .

استأذن طالب من المدرسة الألمانية أن يتكلم فإذن له د. فيلهالم .

- اسمي عبد الودود ، وأريد أن أسأل د. فيلهالم بحكم أنه ألماني. لماذا اضطهد هتلر اليهود ؟

بدا على د. فيلهالم الارتباك وهو يقول : أنا أدير الندوة فقط ولست طرفاً فيها وأقف على مسافة واحدة من جميع الأطراف.

ولكن عبد الودود أصر على سؤاله ، وأيده زياد وناصر وطلاب آخرون .

فاضطر د. فيلهالم أن يجيب : الحقيقة أن هتلر كان رجلاً دكتاتوراً مستبداً ، والدكتاتور لا يسأل عن أسباب قراراته .

وجد الحاخام في كلام د. فيلهالم مدخلاً للدفاع عن اليهود بعد كل ما ذكره القس والشيخ عنهم.

- هكذا كان كل الملوك الذين اضطهدوا اليهود طغاة مستبدين ، أما علماء المسيحيين ، والمسلمين فاضطهدوا اليهود ليسلبوا منهم القداسة وينسبوها لأنفسهم ، فعيسى عند المسيحيين ابن الله الوحيد ، والمسلمون هم خير أمة أخرجت للناس .

رفع عدد من الطلاب أيدهم يطلبون الكلمة قال د. فيلهالم : تلكمي يا ماري فأنت لم يسبق لك الكلام ونريد سماع آراء أخرى.

- اسمى ماري لوكاس طالبة ألمانية سمعت رأي الإنجيل والقرآن في سبب اضطهاد الإمبراطوريات لليهود ، وأريد أن أعرف ماذا تقول التوراة ؟

صاح الشيخ مصطفى يقول معلقاً على سؤال ماري : سؤال ممتاز ، الحقيقة أن التوراة ...

قاطع د. فيلهالم الشيخ مصطفى قائلاً : معذرة .. يا شيخ مصطفى ، السؤال موجه لسيادة الحاخام .

قال الشيخ مصطفى : أنا لي دراسة في هذا الموضوع ، ولكن فليتفضل حضرة الحاخام بالإجابة ، وليته يقرأ علينا نصوصاً من كتابه المقدس كما قرأنا نحن .

قال الحاخام وقد بدا عليه بعض الارتباك : أفضل أن أشرح بنفسي ملخص ما جاء في التوراة بدلاً من قراءة النصوص حرصاً على الوقت .

فكما أن العهد القديم يصف بني إسرائيل باختيار الله لهم بإعطائهم التوراة، فإنه أيضاً يجب على بني إسرائيل أن يكونوا إلى الأبد "الشعب الذي يختار" ويظل مخلصاً للأوامر الإلهية رغم الإغراءات الكثيرة التي تمثلها الحضارات الإنسانية المحيطة. لكن اليهود، مثل بقية البشر، ضعفاء فيقعون فريسة الإغراء. ويصف العهد القديم الأمر الذي تسبب دائماً في عقابهم. لم تعاقب الأمم الأخرى على ذات المخالفات. لكن بما أن التوراة نزلت على بني إسرائيل فإنهم ملزمون باتباعها بالتمام والكمال .

لكن كبقية البشر فإن اليهود معرضون للخطيئة. فلهذا استعرض العهد القديم تاريخاً طويلاً ومتكرراً لفشل اليهود في الامتثال للأمر

الإلهي. يأتي الفشل بالعقاب الإلهي الذي تتبعه توبة إسرائيل التي يجيب الله عليها بالمحبة والرحمة . لكن كون بني إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التاريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبداً. إن شعب إسرائيل لن يهلك (أرميا ٣١: ٢٦—٢٧). إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، وسيكون له وحده الخلاص النهائي في آخر الساعة لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهداً لله وسيستمر في العذاب عندما يعصي.

بعدما انتهى الحاخام من كلامه نظر إلى الشيخ مصطفى وقال:هل تعجبك هذه الإجابة يا شيخ مصطفى ، أم عندك إجابة أخرى ؟!

قال الشيخ مصطفى مبتسماً : إجابة لا بأس بها ، وإن كنت أتمنى أن تقرأ علينا عقوبات العصيان في العهد القديم (اللاويين:٢٦)

قال زياد : وما عقوبات العصيان في العهد القديم ؟ نريد من الحاخام أن يذكرها لنا .

قال د. فيلهالم أعلم أن هناك كثيراً من الطلاب لديه أسئلة ومداخلات ، وكذلك السادة العلماء لديهم الكثير ليقولوه لكن الوقت قد مر سريعاً ولم يتبق إلا أن نشكر السادة العلماء كما أشكر أبناءنا طلاب المدرسة الأمريكية ونشكرهم على حضورهم، وأبنائي طلاب المدرسة الألمانية .

***

٣

بعد انتهاء الندوة أسرع الطلاب اليهـود يركبـون سـياراقم الدبلوماسية أصر عزرا أن يركب سـيارة الحاخـام بـدعوى أن طريقهما واحد ، وما كادت العربة تتحرك حـتى قـال عـزرا للحاخام بلهجة لا تخلو من غضب مكتوم : سيادة الحاخام .. لماذا قبلت أن تخرج عن الهدف الذي ذهبت من أجله ؟

– لم أفهم .. ماذا تقصد ؟

قال عزرا ومازال يكتم غضبه : ألم تذهب لكي تتحـدث عـن الدين اليهودي وعن شعب إسرائيل وسبب اختيار الله لهم ، وعن اضطهاد الأمم له ؟

قال الحاخام بهدوء : نحن هنا في مصر ولـيس في إسـرائيل .. وليس كل ما يقال هناك يقال هنا .

قال عزرا وقد بدأ الغضب يبدو في كلامه : لماذا تركت الشيخ يتهمنا بالإجرام ، والفساد وإشعال الحروب ، والقس يصفنا بأننا قتلة الأنبياء ، وأولاد الأفاعي ، والنفاق .. لماذا لم تقـل لهـم إن أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي وعد الرب شعب إسرائيل بها في آخر الزمان .. بعدما طردوا منها وشتتوا في بقـاع الأرض ..

ألسنا نحن شعب الله المختار المستحق لوعوده الأبدية ، والخلاص آخر الزمان ؟! أليس هذا ما تعلمونه لنا في المدارس ؟!

قال الحاخام وهو مازال يحافظ على هدوئه : لقد قلت شيئاً من هذا كما يجب أن تعرف أنه ليس كل ما نعتقده يعتقده الآخرون.. ونحن لم نذهب إلى هذا اللقاء من أجل إثارة الفتن إنما لتبرير مواقفنا، وبيان حقوقنا .. ولا تنسى أن العرب يائسون محبطون فلديهم مشكلات لا حصر لها: بطالة ، وعشوائيات ، وفقر ، ومرض .. والمتنفس الوحيد عندهم هو الهجوم على إسرائيل .

قال عزرا وقد هدأ قليلاً : الشيء الذي يثير دهشتي هو كلام القس عن الصهيونية كنت أظن أن المسيحيين أصدقاء لنا بعكس المسلمين أعدائنا التقليديين .

– لا تنسى أن مسيحيي العرب غير مسيحيي الغرب فهم يختلفون في مذهبهم الديني والمواقف السياسية فالعرب مسلمون ومسيحيون من أصل واحد وأصحاب تاريخ واحد وتجمعهم ثقافة واحدة، فإذا تحدثت مع أحد المصريين فلا تستطيع أن تعرف إن كان مسلماً أو مسيحيّاً .

قال عزرا وقد تبدل غضبه إلى دهشة : لماذا يكرهنا المسيحيون ، ألا يؤمنون بالتوراة كما نؤمن بها ؟!

– نعم يؤمنون بالتوراة على نحو مختلف عما نؤمن بها نحن ، فالمسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون أن الفقرات الواردة

في التوراة والتي تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين وبمستقبل مـــشرق لإسرائيل لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة ، لأن اليهـــود طبقاً لعقيدهم اقترفوا إثماً، فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد .

قال عزرا ومازلت الدهشة مستولية عليه : إذا كان المسيحيون يؤمنون بهذا فلماذا أمريكا وانجلترا يؤيدوننا هذا التأييد المطلق أليستا دولتين مسيحيتين ؟!

عندما انتهى عزرا من سؤاله كانت السيارة تقف أمام بيته ، والسائق يفتح له الباب .

***

٤

فوجئ السائق بأن الحاخام يطلب منه أن يغير اتجاهــه ويــسلك طريق بيت السفير بعد محادثة قصيرة في هاتفه المحمول .

– أتمنى أن تكون قد وفقت في المهمة التي كلفتك بها .

بهذه العبارة استقبل السفير الإسرائيلي ليفانون الحاخام شمعــون الذي اكتفى بابتسامة خفيفة .

لم يمهل السفير الحاخام حتى ينتهي من شرب كوب الماء الــذي طلبه وأعاد عليه نفس الجملة التي استقبله بها .

قال الحاخام : لماذا يكره العرب إسرائيل ؟

قال السفير متعجباً : لا أفهم ، وضح .. يا أبراهام .

– هذا هو أول سؤال واجهته قبل أن أنطق بكلمة واحدة .

– هذا ما توقعته من أجل هذا كلفتك أنت بهذه المهمة .. ها .. وبم أجبت يا أبراهام .. أقصد يا حاخام شمعون ؟

قال السفير الجملة الأخيرة ويهو يضحك .

– تلميذك .. يا سيادة السفير .. انتهزت الفرصة وحدثتهم عن المآسي التي تعرض لها اليهود عبر التاريخ ، وحقوقهم التاريخيــة في فلسطين .

– تقصد أرض إسرائيل .. ومن الذي طـرح عليـك هـذا السؤال؟ أكيد طالب مصري مسلم .. أنا أعرف طريقـة تفكـير هؤلاء الناس .

– بالفعل هو طالب مصري مسلم ، اسمه ناصر .

قال السفير بلهجة محقق الشرطة : وما اسم أبيه ؟ وماذا يعمل ؟ وأين يسكن ؟

– مهلاً .. مهلاً .. أنا ذاهب لألقي كلمة .. لا لألقي القـبض على متهم .

قال السفير بلهجة لا تخلو من بعض العنف : أنا أرسلت رجـل مخابرات ليعرف بالتفصيل كيف يفكر هؤلاء الطلاب .. المـسلم منهم والمسيحي.. المصري والأجنبي.. وماذا يعلمهم رجال دينهم؟

قال أبراهام ضاحكاً :

– في الحقيقة أنت أرسلت رجل دين يهودي ألا ترى الكيبا(١) واللحية الطويلة والشارب والبدلة القديمة طراز سنة ستين .

في الحقيقة يا أبراهام لقد أحسنت التنكر ، ولولا أني رأيتك قبل ذهابك للمدرسة ما عرفتك !

– أتدري من ركب معي السيارة ونحن عائدون من المدرسة ؟ .. عزرا بن إليعازر .. ولم يعرفني رغم حديثي معه طوال الطريق .

---

(١) الكيبا : هي القبعة التي يضعها اليهود على رءوسهم أثناء الصلاة وهي إحدى المظاهر الدينية اليهودية .

– هذا الشاب متشدد ولقد اعترضت على ذهابه معك .

– لقد كان هدفي من وضع لحية وشارب ولبس الكيبا ، وحدة أسلوب عزرا أن أعرف مدى ما يصل إليه انفعـــال المـــصريين في مخاطبة حاخامات اليهود واستفزاز المتطرفين من شبابهم .

– وماذا كانت النتيجة ؟

– النتيجة أنني الذي تلقيت أكبر قدر من غضب عزرا .

– كيف ؟

– ركب عزرا معي ونحن عائدون كما أخبرتك .. ووجـــه إليَّ العديد من اللوم بسبب أسلوبي الهادئ في الحوار .

– المهم احك لي بالتفصيل عما حدث اليوم .

– في المساء سيصلك تقرير واف عن لقاء اليوم .. والآن بإذنك أريد أن أعود إلى بيتي لأتخلص من هيئة الحاخام شمعون ، وأعود إلى زي أبراهام .

***

٥

قال زياد للدكتور فيلهالم بلهجة حادة بعض الشيء : لماذا لم تسمح بلقاء آخر مع الحاخام شمعون ليجيب عن أسئلتنا ؟

قال د. فيلهالم بهدوء : هذه المدرسة لها مناهجها وتقاليدها ولا يجوز الخروج عليها ، وقد لاحظت أن لقاء الأمس خرج عن الموضوع الذي اجتمع الحاضرون من أجله ، لقد تحول موضوع تعريف الطلاب بأهداف الأديان السماوية السامية إلى ما يشبه محاكمة لليهود والإسرائيليين لذا رفضت استكمال هذه المحاكمة عندما طلب بعض الطلاب عقد لقاءات أخرى استكمالاً للقاء أمس .

قال زياد بهجة هجومية : قل بصراحة هل أنت من الذين يشعرون بعقدة الذنب تجاه اليهود ككثير من الأوربيين ؟ إنني لاحظت في لقاء أمس أنك متعاطف ..

قاطع ناصر كلام زياد وسارع يقول : نحن نحترمك يا دكتور فيلهالم وزياد يريد أن يسألك لماذا لم تسمح لنا بلقاءات أخرى نتعرف فيها على وجهة نظر رجال الدين اليهودي والشباب الإسرائيلي فيما تفعله إسرائيل ؟ وهل ما تفعله إسرائيل مع العرب

دين أم سياسة ؟ نحن العرب نتحاور مع أنفسنا ، لذا وجدنا في لقاء الأمس فرصة في سماع وجهات النظر الأخرى من أصحابها دون تحريف أو تضليل .

هدَّأ كلام ناصر ولهجته الهادئة من جو الحوار مما جعل د. فيلهالم يقول : أنا أقدر لكم رغبتكم في المعرفة وعدم التسليم بوجهة النظر الواحدة ، فأنا ظللت أسير وجهة نظر لم أسمع غيرها في وسائل الإعلام الألماني .. صحافة ، إذاعة، تليفزيون ، سينما ، كتب تقول: إن اليهود مروا بمآسٍ عبر التاريخ كان آخرها ما صنعته بهم النازية ، لقد كان الأمر فوق تصور تخيلوا ستة ملايين يهودي أبيدوا في أفران الغاز وبالرصاص وتحت التعذيب والقهر ألم تشاهدا فليم " قائمة شندلر" Schindler's List " لستيفن سبيلبرج ؟

عندما كان أبي يحدثني عن محرقة اليهود كانت دموعه تنهمر بلا توقف ؛ لقد رأى بعينيه أعز صديق له " جاكوب " كيف هجم عليه النازيون هو وأسرته ، وأخذوا يدقون رأسه بمؤخرة بنادقهم حتى هشموا رأسه أمام زوجته وابنته الصغيرة دون ذنب قد ارتكبه وعندما همت زوجته وابنته الصغيرة بالهرب أمطروهم بسيل من الرصاص وتركوهم صرعى في الطريق ...

همَّ ناصر أن يقاطع د. فيلهالم فأشار إليه أن انتظر وأكمل قائلاً: لا أنكر أني عندما جئت إلى مصر منذ عشر سنوات كانت صورة

زعماء العرب الذين يريدون أن يلقوا إسرائيل في البحر قد تغيرت بعض الشيء خاصة بعد مباحثات السلام وتوقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وتوقيع اتفاقية غزة – أريحا ، ولكن بعد نشأة منظمة حماس الإرهابية وقتلها للمدنيين الأبرياء ، وصعود التيار الديني في الوطن العربي بدأت صورة النازيين تعاودني ...

عند هذا الحد من كلام د. فيلهالم لم يطق ناصر صبراً فاندفع يقول بحماس وانفعال شديدين :

– من الإرهابيون الحقيقيون .. الذين يدافعون عن أوطانهم أم المحتلون المستوطنون ؟ هل العرب هم النازيون أم أنتم الذين تسكتون عن مذابح إسرائيل ضد العرب ؟ ألم تسمع عن مذابح : دير ياسين .. صبرا وشتيلا .. قانا .. الحرم الإبراهيمي .. وآلاف القتلى في الحرب على لبنان ، وغزة الأخيرتين ؟ لماذا لم تذرف عيناك دمعة واحدة لضحايا هذه المذابح وجرائم الحرب ، لقد تباكيتم طويلاً على جرائم النازي ضد اليهود ألم تسأل نفسك لماذا فعل هتلر باليهود ذلك؟ ألم تقرأ مذكرات هتلر .. لقد حمَّل اليهودَ كل كارثة حلت بألمانيا .. فماذا فعل أهلي غزة حتى يضربوا بالأسلحة المحرمة الدولية .. يضربوا بالقنابل الفسفورية الحارقة التي تذيب الجلد ، وأسلحة الليزر التي تدمر خلايا الجسم ؟ وماذا فعلت لبنان وغزة حتى لاجئي مخيم صابرا وشتيلا .. إن الإجرام الحقيقي ليس إجرام اليهود فهذه طبيعتهم طوال تاريخهم إنما

الإجرام الحقيقي إجرام من يتعاطفون معهـــم ويمـــدوهم بالمـــال والسلاح ليبيدوا المواطنين الأبرياء .. المجرمون الحقيقيـــون هـــم أنتم..

وعلى غير العادة سارع زياد بتكميم فم ناصر ومنعه من مواصلة الكلام ، والاعتذار للدكتور فيلهالم الذي شيع الطـــالبين قـــائلاً : هكذا أنتم أيها العرب تغطون مشكلاتكم الداخلية باتهام الآخرين .. شباب بلا مستقبل ، وفساد بلا نهاية ، وفقر بلا حدود ومـــع ذلك لا تحسنون إلا الحروب الكلامية ، واتهام الـــدول المتقدمـــة بالظلم ، هكذا أنتم أيها العـــرب لا تحـــسنون إلا الكـــلام ، ولا تنظرون إلا إلى الماضي ، ولا تسمعون غير أنفسكم . ولا ترون إلا عيوب غيركم .

***

٦

عندما عرف أنه في أمن الدولة سيطر عليه خوف شـــديد فقـــد تداعت صور التعذيب .. الصعق الكهربائي .. التعليق من القدمين كالذبائح .. الكرابيج السودانية .. لأفلام : البرئ والكرنك وإحنا بتوع الأتوبيس .

بعد أن عصبوا عينيه طلب منه من يقوده أن يضع باطن إحـــدى يديه على ظهر الأخرى ويمدهما أمامه . أمسك الباشا – هذا هـــو الاسم الذي سمع الناس تنادي به عليه – بيديه الممدودتين أمامـــه وسار به في طرق معوجة .. صعد سلالم وهبط أخرى .. وأخـــيراً أوقفه بجوار حائط رطب ، وطلب منه عدم الحركة .

بعد عدة دقائق عاد الباشا يأخذ بيديه ويسير به عدة خطوات ثم يجلسه على أحد المقاعد .

لا يقطع سكون المكان إلا غمغمة تصل إلى أذنـــه بـــين الحـــين والآخر لا يفهم منها شيئاً . وفجأة سمع صوتاً يشبه فحيح الثعابين يأتيه من يساره :

– يبدو عليك أنك " ابن ناس " .. وإن شاء الله تعود إلى بيتك سريعاً .. فقط أريد أن أسألك عدة أسئلة بسيطة .. إلى أي جماعة تنتمي ؟

ورغم خوفه الشديد إلا أنه كان ثابت الجأش فأجاب بهدوء : أنا لا أنتمي لأية جماعة .. ولا أعرف عن هذه الجماعات شيئاً .

– لماذا شاركت إذن في مظاهرة نقابة الصحفيين ؟

– أنا لم أشارك فيها .

وما إن نطق زياد بهذه الإجابة حتى سمع صوتاً مدوّياً مصحوباً بضربة قوية تهوي على المكتب الذي يجلس بجواره ..

– أتكذب من البداية ؟!!

فزع زياد من تزامن الصوتين وقوتهما وتبدد سريعاً وهْم حسن المعاملة الذي بدأ به المحقق حديثه .

– ....

قال المحقق ومازالت لهجة الغضب والتهديد تصبغ كلامه : من أية مصيبة أنت ؟ .. ٦ أبريل .. إخوان .. كفاية .. انطق .

– أنا لا علاقة لي بهذه الجماعات .. أنا كنت ذاهب لأشتري "Pullover" من وسط البلد .. والحافظة التي أخذوها مني عند وصولي إلي هنا بها أكثر من ستمائة جنية أحضرتها لهذا الغرض .

– والذي ذهب ليشتري " Pullover " يقف أمام المظاهرة ويصورها ويضرب العسكري !!!

عقّب زياد بسرعة : هو الذي دفعني أولاً دون سبب وأسقط من يدي التليفون .. لم أكن أعرف أنه عسكري .

– لماذا كنت تصور المظاهرة ؟ لترسلها إلى الـــ "YouTube" أم إلى الـ " Twitter " ؟

– لا .. لا .. لا هذا ولا ذاك .. أنا أحب التصوير .. وأي شيء غريب يستهويني أصوره .. وستجد سيادتك في التليفون صوراً كثيرة ولقطات Video لأصدقائي وأخواتي ورحلات ونانسي وروبي ونجلاء ...

– ماذا تعرف عن أسماء محفوظ ، وإسراء عبد الفتاح ، وأحمد ماهر .

– لم أسمع بهذه الأسماء من قبل .

– ولا تعرف البرادعي أيضاً ؟!

– صاحب جائزة نوبل .. أعرفه .

– ألم تسمع أنه يريد أن يرشح نفسه أمام الرئيس مبارك ؟

– أنا أعرف أنه عميل أمريكي .. كيف يرشح نفسه أمام السيد الرئيس ؟! .. إن شاء الله يكون مصيره مثل أيمن نور .. والرجل الآخر الذي رشح نفسه أمام سيادته .

– نعمان جمعة .

– نعم .. نعمان جمعه .. إن شاء الله سيكون مصيره مثلهما .

عاد المحقق يضرب المكتب بيده ثانية ويهتف صارخاً : أنت كذّاب .. من مصلحتك أن تقول الحقيقة .. لماذا كنت تصور المظاهرة ؟

قطع الحوار صوت يشبه الصوت الذي يسمع عند الاتصال برقم مشغول ثم تلاه صوت يشبه صوت نهاية الإرسال المتقطع وبعد حوار هامس .

قال المحقق لزياد : أين تسكن بالضبط ؟

– ١١ شارع ٩ حدائق المعادي .

عاد المحقق إلى الهمس مرة ثانية ، ثم قال : صف لي كيف أذهب إلى منزلك .

– بعد محطة حدائق المعادي من جهة الكورنيش بشارعين ، على ناصية الشارع " سوبر ماركت الحمد " عمارة رقم ١١ .

– ما رقم الشقة ؟

– الدور الخامس شقة ١٠ .. هل تريدون الذهاب إلى بيتي .

– نعم .

انقبض قلب زياد ، وندى جبينه عرق بارد ، لم يكن يريد أن يعرف ما حدث له أحد حتى يخرج ويعود إلى بيته كما وعده المحقق. ومع ذلك كان تعقيبه على اقتحام أمن الدولة بيته بعد أن أخذ نفساً عميقاً : الحمد لله .

انشغال المحقق بحديثه التليفوني جعل زياد يفكر في أسرته "ماذا جنت أمي حتى يقتحم رجال أمن الدولة بيتها ؟ وما ذنب إخوتي الصغار؟ أكاد أسمع بكاء شيماء أختي الصغيرة أما أسماء ..

– يبدو أنك " ابن ناس " حقاً ماذا يعمل والدك ؟

– يعمل مدرس لغة ألمانية .

– يبدو أنك تحب القراءة .. لديك مكتبة كبيرة .

– كيف عرفت ؟

بعد أن قال زياد ذلك تذكر أن رجال أمن الدولة الآن يفتشون بيته فأسرع قائلاً : المكتبة الموجودة في البيت مكتبة أبي .. وأنا لا علاقة لي بها .

– هل تسمع تسجيلات للشيخ محمد حسان ،والشيخ وجدي غنيم ، ويعقوب، والحويني ؟

– لا .. سمعت أنهم متشددون ..

– ألم تسمع أحاديثهم ؟

– لا .. لا ..

قال المحقق بصوت كالرعد : أنت كذَّاب .. جهاز الـ Computer الخاص بك مليء بتسجيلات هؤلاء الشيوخ .

– إن هذه التسجيلات خاصة بأبي .

– وأين أبوك ؟

– في السعودية .

– وماذا يعمل هناك ؟

– قلت لسيادتك .. مدرس لغة ألمانية .

– ألا تستمع لهؤلاء الشيوخ أبداً ؟

– أنا أحب سماع الأغاني عربية وأجنبية ، وأحب هيفاء وهبي ونانسي عجرم ورقص روبي ، ويوجد على جهاز الـ Computer كثير من أغانيهم المصورة .

– وماذا تقرأ ؟

– المكتبة التي في البيت مكتبة أبي .

– وماذا تقرأ فيها ؟

– أقرأ في دواوين الشعر أحياناً .. خاصة شعر نزار قباني .

– ما سبب عدائك لليهود إذن ؟

قال متعجباً : أنا معادٍ لليهود !! هل يوجد طالب في المدرسة الألمانية معادٍ لليهود ؟!! لقد شاهدت فيلم " قائمة شندلر " عدة مرات ..

– وما رأيك فيه ؟

– فيلم رائع إنه حاصل على سبع جوائز أوسكار .. بكيت كثيراً على ما جرى لليهود فيه .. فيلم مؤثر جداً ...

أليس اليهود ملاعين وأحفاد القردة والخنازير ولولا حكام العرب لتطهرت البلاد العربية من نجاستهم ..

– هذا كلام المتطرفين .

عاد المحقق إلى غضبه ثانياً : هذا كلامك .. أنسيت ؟

– لا أدري ماذا تقصد بالضبط ؟

ما كاد زياد ينطق بهذه الإجابة ، وإذا بالمحقق يستشيط غـضباً ويصرخ قائلاً : عندما أسالك أي سؤال فعليك أن تقول كل مـا تعرف عنه دون لف أو دوران .

عرف زياد أن الأمر له علاقة بندوة الأربعاء الماضي ، ويبدو أن هجومه على اليهود في هذه الندوة ، واحتداده على مدير المدرسة في اليوم التالي هو ما يسأل عنه المحقق، وأن عليه أن يحافظ على هدوئه، ولا يخرج عن الموضوع ، وأن يتخلى عن آرائه المتـشددة ضد إسرائيل وأمريكا التي سمعها من خاله وأبيه وناصـر زميلـه وخطباء المساجد .

– تقصد سيادتك ندوة الأربعاء الماضي ؟

– ماذا حدث فيها ؟

– من عادة المدرسة أن تعقد لقاء كل عام تدعو فيه شيخاً من الأزهر ...

قاطعه المحقق بحدة : أنا أعرف كل هذا .. ماذا قلت للحاخـام اليهودي ؟

– لم أقل له شيئاً !

– ألم تسأله : لماذا يكره العرب إسرائيل ؟

– لست أنا .. إنما طالب آخر .

– ما اسمه ؟

– كثير من الطلاب سألوا .. لا أذكر من سأل هذا السؤال بالتحديد .. الذي أذكره جيداً أنني لم أسأل هذا السؤال .

– ما الأسئلة التي سألتها إذن ؟

– لم أسأل أي سؤال .. كل ما قلته في هذه الندوة هو الرد على طالب يهودي كان يسب العرب والمصريين .

– وما رأيك في إسرائيل ؟

– دولة صديقة .. بيننا وبينهم معاهدة سلام .

– وما رأي أبيك فيها ؟

– أبي يعمل في السعودية منذ ثلاث سنوات ؟

– ألم تسمعه مرة يتحدث عن إسرائيل .. نظام الحكم في مصر؟

– أبي يعود من السعودية في إجازة الصيف فقط ، وأنا معظم إجازة الصيف أمضيها في الغردقة مع أصدقائي ، فلنا صديق عنده شقة هناك .

– ما رأيك في تصدير الغاز إلى إسرائيل ؟

– هل تصدِّر مصر الغاز لإسرائيل ؟! إنها مجرد شائعات كاذبة .

***

٧

رجل في الخمسين من عمره أبيض الوجه رشيق القوام سحنته غير عربية كان يقلب قنوات التلفاز باحثاً عن نشرات أخبار عربية.

دخلت امرأة شقراء ممتلئة الجسم قليلاً وهي تقول مازحة : يبدو أنك غير سعيد برؤيتي.. هل جئت في وقت غير مناسب يا فيلهالم؟

– لا .. أبداً ولكني مشغول بعض الشيء هذه الأيام .

قالت له بدلال ، وقد طوقت رقبته بذراعيها من الخلف : ما لك يا حبيبي .. ما يشغلك ؟

لاحظت أنه يشاهد قناة الجزيرة العربية فعادت تقول في دهشة: ماذا تشاهد ؟ .. قناة الجزيرة !! .. منذ متى وأنت تشاهد القنوات العربية ؟!

– أريد أن أعرف المزيد عن العرب .

ردت بلهجة تهكمية : العرب لا يتغيرون ولا يتبدلون .. هم كما هم منذ أن كانوا يعيشون في صحراء الجزيرة العربية ،وحتى اليوم.

– لا ينبغي أن نحكم على الناس قبل أن نعرفهم .

– ألا يكفي عشر سنوات قضيتها معهم حتى تعرفهم؟! أأنت غبي إلى هذا الحد ؟!

قالت الجملة الأخيرة مازحة ، وبعدها أطلقت ضحكة عالية مثيرة .

قال بلهجة جادة : الأمر يا إيفا جد لا مزاح فيه . أريد أن أعرف حقيقة هؤلاء الناس بنفسي .

قال هذا وسكت برهة وقبل أن ترد عليه أكمل قائلاً : أليس هناك احتمال أنهم ضحايا أو على الأقل مظلومون ؟ .. أنا لست واثقاً من هذا .. لكن على الأقل عليَّ أن أكتشف الحقيقة بنفسي.

قالت وقد وصلت سخريتها إلى الغاية : حقيقة العرب ؟! .. أتمزح ؟! .. إنهم إرهابيون .. أنسيت ؟!!

قال وهو مازال يقلب القنوات العربية : ليس في هذه الحياة حقائق مطلقة .. أليس هذا كلامك ؟!

قالت بلهجة جادة ، وهي تثبت عيناها في عينيه : إلا حقيقة محرقة اليهود .. وإرهاب العرب .. أليس هذا كلامك ؟!

رد بلهجة لا تخلو من حدة : ومذابح : دير ياسين .. صبرا وشتيلا .. أبي زعبل .. بحر البقر .. وقانا ... أليست هذه حقائق هي الأخرى ؟!

قالت وقد بدت عليها الدهشة : ما تلك المذابح التي ذكرتها .. أنا لم أسمع عنها من قبل .. أهي مذابح ارتكبت في حق اليهود ؟

قال وقد استبد به الغضب : اليهود .. اليهود .. أليس هناك ضحايا في التاريخ غير اليهود!

ثم أخفض من لهجته وقال في لهجة اعتذارية : أنا أقدر أنك يهودية .. لكن ينبغي ألا تنسي أنكم عانيتم من الظلم طويلاً .. فلا ينبغي أن تمارسوه على غيركم .

قالت بلهجة مزيج من الدهشة والحيرة : ما الذي غير حالك لم تكن هكذا ؟! .. هل أحببت امرأة عربية أخرى غيرت حالك ؟! متى وكيف ؟ .. لم يمض غير أسبوع واحد فقط على آخر لقاء بيننا.. لم يكن يبدو عليك شيئاً مما أنت عليه الآن .

أكمل كلامه كأنه لم يسمع كلامها : أسمعت عن محمد الدُرَّة ؟!

- من محمد الدُرَّة هذا ؟ وما علاقته بحديثنا ؟

- إنه طفل صغير قتله الجنود الإسرائيليون وهو في حضن أبيه .

قالت ثائرة : ها هم العرب يثبتون كل يوم أنهم جبناء يتدرعون بأبنائهم ليحموا أنفسهم .. جبناء .. جبناء .

قال بلهجة حادة : لو شاهدت لقطات الـ **Video** التي رأيتها في أسبوع ، ما قلت هذا .

قالت ساخرة : هل استطاع الإعلام العربي في أسبوع واحد أن يخدعك ، ويقلب الحقائق .. أليس هؤلاء العرب هم الذين يريدون أن يرموا إسرائيل ومن وراء إسرائيل في البحر؟! .. أليس هؤلاء العرب هم الذين يغتالون كل يوم الإسرائيليين الأبرياء في تل أبيب، والقدس والخليل والضفة و...؟!

قال بلهجة اليائس : لن يجدي معك حديث .. أرجوك اتركيني بمفردي .

هبت واقفة وبدأت ترتدي ملابسها بسرعة ، وتسوي شعرها بيديها وهي تقول : هل دعوتني ؛ لتسمعني هذا الكلام السخيف.. ثم تطردني ؟!

قال بلهجة باردة خالية من أية مشاعر : أنا لم أدعك .. أنت التي فاجأتيني بهذه الزيارة .

قالت وهي في طريقها إلى الباب : أنا آسفة .. حسبتك صديق يقدر النساء .. لكن يبدو أنك من طول معاشرة العرب أصبحت مثلهم .. لا تتصل بي ثانية .. نازي جديد .. نازي جديد ..

أفزعه صوت عنف إغلاق الباب .. أحس بصداع شديد ، وصراع عنيف يحطم رأسه .. شتات اليهود .. اللاجئون الفلسطينيون .. مذبحة اليهود في كيشنيف ومذابح هتلر لليهود .. مذابح الإسرائيليين للعرب .. انفعال ناصر .. ثورة إيفا .

بعد أن احتسى زجاجة " Whiskey " كاملة وهو يشاهد فيلماً أمريكيّاً عن رعاة البقر غلبه النوم ؛ فنام على أريكة الصالون، وظل التلفاز مفتوحاً .

***

٨

ما إن أفاقت سلوى من الصدمة حتى جففت دموعها ، وبحثت بلهفة عن رقم تليفون ناصر لتعرف منه حقيقة الأمر .. وبعد بحث مضطرب وجدت رقم التليفون .. وبعد مكالمة قصيرة .. غيرت ملابسها ، وأوصت ابنتيها : .شيماء وأسماء بعدم فتح الباب لأي أحد غريب مهما كان .

ما كادت سلوى ترى ناصراً حتى انهالت عليه بوابل من الأسئلة: قل لي ماذا حدث ؟!..أخبرني زياد أنه ذاهب ليشتري "Pullover" وأنك ستذهب معه .

– كان يريد أن يشتري " Pullover " أعجبه في أحد محال شارع ٢٦ يوليو .. انتظرته كثيراً ولم يأت .. اتصلت به كثيراً دون فائدة .. وبعد ذلك أغلق تليفونه .. ماذا حدث ؟ .. منذ اتصال حضرتك ، وأنا في حيرة .

قالت وهي تكاد تبكي : رجال أمن الدولة فتشوا البيت ، وأخذوا بعض الكتب ، وجهاز Computer ، وانصرفوا .

قال ناصر متلهفاً : متى حدث هذا ؟!

– قبل أن اتصل بك بعشر دقائق .

وماذا قالوا لك :

– لم يقولوا شيئاً غير أنهم من رجال أمن الدولة ، ثم هجم اثنان على المكتبة يقلبان كتبها كأنهما يبحثان عن شيء ، وجلس أحدهم إلى الـ Computer يبحث فيه ، بينما أخذ اثنان منهما يفتشان البيت حجرة حجرة ، ولم يكتفوا بأخذ حوالي ثلاثين كتاباً من المكتبة ، إنما أخذوا الـ Computer أيضاً .

في تلك الأثناء دخلت سيدة نحيفة لا يكسو وجهها سوى جلد مشدود ، ذات شعر قصير غير مرجل كالصوف المنفوش .

– ماذا حدث يا سلوى ؟ ماذا حدث لزياد ؟

– أدركيني يا لاميس .. أبحث عن زياد ولا أجده .. وأمن الدولة فتشوا البيت ، وأخذوا ...

– اطمئني يا سلوى .. إن شاء الله خير .. اطمئني .. هل هذه أول مرة يحدث لكم هذا ؟ .. أول مرة يفتش أمن الدولة بيتك ؟

– هذه أول مرة يدخل أمن الدولة بيتي .

– اطمئني .. اطمئني .. أتشربين شاياً أم عصيراً ؟

قالت سلوى بانفعال مصحوب ببكاء : أقول لك ابني لا أجده.. وربما قبض عليه أمن الدولة ، وأنت تقولين لي : تشربين شاياً أم عصيراً !

جلست لاميس بجوار سلوى وضمتها إلى حضنها وأخذت تربت عليها .

بدت لاميس بجوار سلوى كأنها ابنتها أو أختها الصغرى فسلوى فارعة الطول ممتلئة الجسم ترتدي عباءة سوداء وخمار طويل من نفس القماش الذي صنعت منه العباءة ، وقد اكتسى وجهها الأبيض الممتلئ بحمرة ممزوجة بقتامة ظاهرة .

قالت لاميس مواسية : الذي حدث لك اليوم يحدث لنا كثيراً .. فزوجي ضيف دائم على أمن الدولة.

قالت الجملة الأخيرة ، وهي تبتسم .

قالت سلوى ومازال الفزع والخوف يسيطران عليها : أين زياد الآن ؟ .. أريد أن أراه .. أين يوجد أمن الدولة هذا ؟

– اطمئني لن يصيبه أذى .. أنا أعرف أنه ليس لكم نشاط سياسي .. فلماذا قبضوا عليه ؟

قالت سلوى بفزع : أوَ قبضوا عليه ؟! .. ما الذي يجعلك تقولين هذا ؟ .. ابني لا علاقة له بالسياسة.

– إذا كان تليفونه مغلق ، وأمن الدولة فتشوا بيته وأخذوا كتباً، وجهاز الـــ Computer فهذا معناه أن رجال أمن الدولة يحققون معه أو يحتجزونه .. ومن الممكن أنهم يحققون الآن مع زوجي أنا أيضاً .

– لماذا ؟

– لأنه ذهب لنقابة الصحفيين ليشارك في مظاهرة احتجاجية بسبب نتيجة الانتخابات التي زورها الحزب الوطني أمام ...

قالت سلوى بلهجة هجومية : إذن ابنك ضحك على ابني وأخذه معه إلى المظاهرة .. حرام عليكم لماذا تفعلون بابني هذا ؟!

سارعت لاميس تقول : ابني لم يشارك في المظاهرة ، ولم يدع أحداً للمشاركة فيها .

قال ناصر مستعطفاً : والله يا " Aunt " لم أذهب إلى المظاهرة ، ولا دخل لي بها .. وزياد لا يعلم عنها شيئاً .. هو الذي طلب مني أن أذهب معه ليشتري " Pullover " أعجبه، وهذه ليست أول مرة كما تعلمين فلا يشتري أحدنا شيئاً إلا مع الآخر .

قالت لاميس بشفقة : ناصر يحب زياداً ، وهو دائماً يقول : لولا زياد وأبوه ما استطعت دخول المدرسة الألمانية ولا الاستمرار فيها.

قالت سلوى موجهة كلامها للاميس : أريد أن أرى ابني .. خذيني إلى أمن الدولة هذا لأراه واطمئن عليه .

قالت لاميس بلغة تقريرية : لن يخبرك أحد بمكانه ، ولن تستطيعي معرفة أي شيء عنه إلا بعد ثلاثة أيام .

قالت سلوى مستعطفة : زوجك يعرف مسئولين كبار .. أرجوك اطلبي منه أن يكلم أحدهم ليفرجوا عن ابني .. أو يوكّل لي أكبر محامي يدافع عنه .

– وزير الداخلية نفسه لا يعلم أين ابنك .. وأي محام مهما كانت مكانته لا يستطيع أن يفعل لك شيئاً قبل ثلاثة أيام .. نحن نعيش في ظل دولة بوليسية ، وجهاز أمن الدولة أكبر سلطة فيها.

– ترى ماذا يصنعون مع ابني الآن ؟

– اطمئني .. اطمئني .. سيسألونه بعض الأسئلة وسوف يفرجون عنه .. ليس على ابنك أي تهمة .

– فلماذا قبضوا عليه ؟

– ٩٩ % ممن يقبض أمن الدولة عليهم أبرياء ، ولا تهمة عليهم.. نحن نحكم بقانون الطوارئ ألا تعريفين ذلك ؟!

– لكن ابني لا دخل له بالسياسة وليس من المتهمين بمعارضة الدولة ولا من المعترضين على قراراتها ، نعم زياد ينفعل أحياناً لكنه طيب القلب .

قال ناصر: زياد منفعل دائماً .

قالت سلوى وهي تضع يديها على خديها كأنها تلطمهما : أخشى أن يعذبوه .. كان أخي يحكي لنا عن ألوان التعذيب البشعة في أمن الدولة والمعتقلات والسجون .

– هذا مع أصحاب التنظيمات السرية والإرهابيين .. وزياد ليس واحداً من هؤلاء .. صدقيني .. نحن قبض علينا كثيراً ونعرف ما يحدث بالضبط .

تنهدت لاميس ثم نظرت لناصر وقالت له :

– اتصل بأبيك لنعرف ما حدث له .. اتصلتُ به عدة مرات اليوم ، ولم يرد عليَّ .. لا أدري هل لم يسمع التليفون ، أم أنهم قبضوا عليه هو الآخر ؟

***

٩

لم تفلح مواساة لاميس في أن تهدئ من روع سلوى ، ولم تجد بداً من الذهاب لأخيها رغم ما تحمل هذه الزيارة من مخاطر خاصة في هذه الظروف ، قالت في نفسها "من أجل ابني أفعل أي شيء"

– السلام عليكم .

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. تفضلي .. خطوة عزيزة .. أهلاً وسهلاً.

– الشيخ خيري موجود ؟

– ألا تنتظرين حتى تجلسي أولاً .. أنت دائماً لا صبر عندك هكذا .. لا .. هو غير موجود .. خير إن شاء الله .

– متى سيأتي ؟

– أنت تعريفين أخاك ، لا أحد يعرف أين يذهب ولا متى يجيء .. أنت تعلمين مشاغله كثيرة .. ما الحكاية ؟ .. أحس أن هناك شيئاً قد حدث .

– أمن الدولة .. منذ ساعتين اقتحموا البيت وفتشوه .

قالت الحاجة زينب بدهشة :

– شيء غريب .. عمن كانوا يبحثون ؟

– أخذوا بعض الكتب ، وجهاز الــ Computer .

– هل سألوك عن الشيخ خيري ؟

– لا .. أخذوا ما يحتاجونه وذهبوا .

– شيء غريب .. ربنا يستر .. اللهم سلِّم .

– وزياد .. بحثت عنه ، ولم أجده !!

– طالما لم يسألوا عنه .. فاللهم استر .

سلوى بيأس :

– إذن .. أكيد قبضوا عليه .

– ماذا فعل ؟ أنتم على مدى عمركم لا تهتمون إلا بشئونكم .. فماذا حدث ؟

– علمي علمك .. أنا نفسي لا أعرف شيئاً .. قلت أسأل الشيخ خيري يمكن أن يساعدني ..

– اطمئني .. سأتصل به علّه يرد هذه المرة .

اتصلت الحاجة زينب بزوجها ، وبعد فترة انتظار طويلة قالت :

السلام عليكم .. الصوت غير واضح .. أختك تريدك .. أختك سلوى .. متى ستأتي؟ .. ابتعد عن هذا الضجيج وحاول تكلمني مرة أخرى .

– كما تسمعين الصوت غير واضح يبدو أنه في مظاهرة .. أنت تعرفين أخاك .. طوال عمره معارض لسياسة الدولة.. ونصحته كثيراً أن يبتعد عن الإخوان ويتفرغ لتجارته .

– ألم يقل لك متى سيأتي ؟
– لا .. لكنه وعدني أن يتصل بي لاحقاً .
قالت سلوى وهي في طريقها إلى الباب :
– عندما يتصل بك أفهميه الموضوع .. واطلبي منه سرعة التصرف .
– انتظري ربما يأتي ، أو يتصل .
– البنتان في البيت بمفردهما .. السلام عليكم .

***

١٠

عندما رفعوا العصابة من فوق عينيه وجد نفسه في حجرة كبيرة حوالي ٨×٥ متر طلاؤها رمادي داكن مبلطة ببلاط خشن غـــير مستو .. ليس لها إلا باب حديدي صغير على يمينه شـــباك ٤٠ × ٦٠ سم عليه سبعة قضبان حديدية على بعد ١٧٠سم من الأرض يتدلى منه مصباح كهربائي ٢٠٠ وات . وعلى يسار الباب يوجد حجرة مربعة متر ونصف × متر ونصف فتحة دخولها مجاورة لباب الحجز ومغطاة ببطانية قديمة قذرة .

لم يكن في الحجز أحد سواه أشار الباشا له على كومتين وقال له:

– خذ مرتبة ، وبطانية .

وأغلق عليه الباب بسلسلة غليظة وتركه واختفى .

أخذ زياد مرتبة .. ووضعها آخر الحجـــرة في مواجهـــة بـــاب الحجز.. وانتقى بطانية نظيفة نوعاً ما ووضعها فوق المرتبة .. فعل هذا كأنه ينفذ الأوامر .

خلع حذاءه وتمدد على المرتبة الأسفنجية ذات الكيس الممـــزق القديم . كان الجو بارداً غطى رجليه بالباطنية ، لكنه لم يجـــد مـــا يسند عليه مرفقه أو يضع رأسه عليه .

تردد كثيراً في أن يأخذ باطنية أخرى يجعلها وسادة ؛ فقد أمـــره الباشا أن يأخذ مرتبة وبطانية ، ولم يذكر له شيئاً عن الوســـادة ، لكنه غامر وأخذ ، دون أذن ، بطانية أخرى طواها بحيث أصبحت كالوسادة . أسند مرفقه الأيمن على البطانيـــة الوســـادة ، وراح يستعيد شريط الساعات الست الماضية .

" الجمعة ١٣ يناير .. ميعاد ناصر .. بل ميعادي معهـــا أولاً .. محطة جمال عبد الناصر .. نقابة الصحفيين .. الإعلان عـــن قيـــام البرلمان الشعبي .. هتافات ضد تزويـــر الانتخابـــات ، والفتنـــة الطائفية، وغلاء الأسعار ، والمطالبة بدستور جديد ، والديمقراطية والعدالة الاجتماعية .. المشاجرة .. عربة الشرطة .. التفتـــيش .. وضع العصابة .. التحقيق .

" كل هذا يحدث من أجل مشاجرة صغيرة .. ترى ما حال أمي وأخوتي الآن .. ترى إلى متى أظل على هذه الحال .. "

نفض من رأسه الأفكار المتشائمة .. قام .. وجد نعلاً بلاستيكيّاً قديماً خلع جوربه ولبس النعل .. سار حتى الحجرة الـــتي في أول الحجز على يمين الداخل أزاح الستارة البطانية فإذا هو حمـــام بـــه قاعدة بلديَّة وصنبور بجوارها .

توضأ زياد وصلى العصر والمغرب والعشاء ، لأول مرة يكـــون بهذا الخشوع في الصلاة .. لأول مرة تذرف عيناه وهو يدعو .

بعد الصلاة أحس بسكينة ، وإن كان لا يدري ماذا بعـــد ؟ ..
استعاد شريط التحقيق .. وتساءل هل صدقه المحقق ؟ هل صدق المحقق دموعه الغزيرة التي انهمرت وهو يشاهد فيلم قائمة شندلر ؟

ما يحيره حقاً هو " كيف عرف المحقق موضع الندوة الدينية ؟

وأسئلة ناصر للحاخام ورده على استفزازات عزرا ؟ أمي نفسها لم تكن تعرف عن هذا الموضوع شيئاً فكيف عرف هو ؟!!

تذكر كلام خاله خيري عن أمن الدولة أيام عبد الناصر " كـــان يعرف ما يُسر به الزوج لزوجته رغم إحكامه إغلاق باب حجرة النوم عليهما !! "

فزع عندما سمع طرقاً قوياً على الباب الحديدي ، والباشا ينادي عليه من وراء قضبان الشباك . هبَّ مسرعاً وهـــرول حافيـــاً إلى الشباك .

أعطاه الباشا رغيفين ، ومائة جرام جبن في علبة ورقيـــة . مـــن خلال القضبان .

كان قد مر عليه أكثر من ثماني ساعات لم يتذوق فيهـــا شـــيئاً ، ورغم أنه معروف بشراهته للطعام ، وهذا يبدو من بدانته الظاهرة إلا أنه لم يستطع تذوق أي طعام .

رغم تعبه لم يستطع النوم .. استلقى على ظهره ووضـــع يديـــه خلف رأسه وفوق البطانية الوسادة ، وغطى نـــصف جـــسده إلى

بطنه بالبطانية الأخرى ، ظلت عيناه معلقتان بالشباك وقضبانه السبع وجزءاً من مئذنة المسجد التي تبدو خلف القضبان.

خمسة مواضيع تسيطر على تفكيره .. أمه وأختيه.. التحقيق .. جداله لعزرا .. أحاديث خاله عن المعتقلات والتعذيب .. رسائلها وحواراتها .

لا يدري متى غلبه النوم فلم يكن معه ساعة ، وتليفونه قد تُحفِّظ عليه فور القبض عليه .

أنقذه أذان الفجر من الكوابيس التي داهمته أثناء نومه .

استيقظ من كوابيسه على أذان الفجر .. توضأ وأسبغ الوضوء .. وصلى وخشع في صلاته .. بكى وهو يدعو في السجود بدعاء نبي الله نوح { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتصر } وأخذ يكرر .. أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتصر .. أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتصر .. أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتصر ...

لم يكد ينام ساعتين نوماً هادئاً حتى استيقظ على صوت جلبة .. ضباط .. وجنود .. أوامر عسكرية حركات سريعة .. سيطر عليه إحساس أن هؤلاء جميعاً أتوا لترحيله إلى السجن أو المعتقل .

أخذ يدعو بقلبه ولسانه وكل حواسه { لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمينَ } .. {لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمينَ} .. {لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمينَ}

في أثناء ذلك سمع صوت سلاسل ، وباب حديدي يفتح ثم يغلق، ثم ما لبست كل هذه الجلبة أن هدأت ثم اختفت كأنها لم تكن .

حمد الله كثيراً أنه لم يكن مع المرحلين " الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك " ...

لم يستطع النوم .. بدأت أشعة الشمس تنتشر في كل مكان خلف القضبان السبع، لكنها لم تدخل الحجز .

عادت الموضوعات الخمسة تغزو رأسه مرة ثانية ومع ذلك غفا غفوة قطعها صوت سلسة باب الحجز ، وصوت الباشا يناديه .

هرع إلى الشباك ومن خلال القضبان السبعة أخذ رغيفين ، وقرطاس به مادة صلبة ، وطبق بلاستيك صغير به فول سقط نصفه على الأرض أثناء محاولة إدخاله من خلال القضبان .

كان قد بدأ يشعر بالجوع ، ورغم حبه للفول والطعمية إلا أنه لم يستطع أن يتذوق شيئاً منهما فأقراص الطعمية الخمسة متحجرة وذات رائحة غريبة ، أما الفول فالزيت الذي وضع فيه لا يمكن أن يكون زيت طعام مطلقاً . نحّى الفول والطعمية جانباً وأخرج طعام العشاء الجبن والخبز .. وبرغم جوعه إلا أنه لم يستطع أن يأكل أكثر من رغيف بربع قطعة الجبن .

يقولون إن الوحدة قاتلة فما بالك إذا أضيف إليها الخوف من المجهول والقلق على الأهل ومعايشة الحشرات والحيوانات الصغيرة.

فكّر في أن يصعق نفسه بسلك الكهرباء العاري الذي يتدلى منه المصباح رغم أنه متأكد من أنه لم يرتكب أي جرم يستحق عليه اللوم فضلاً عن العقاب .

أذن الظهر استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، قام وتوضأ وصلى الفرض والسنة القبلية والبعدية واستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم .

بعد أن تسربت منه شحنة الصلاة الإيجابية عاودتـــه الوســـواس الشيطانية . صبي دون السابعة عشرة خبراته في الدنيا قليلة لـــيس لديه شيء يقتل به الوقت أو يحي به الأمل .

بحث عن أي شيء يتسلى به .. أي شيء .. وقعت عيناه علـــى القرطاس الذي لُفَّت فيه أقراص الطعمية ، ورغم رائحته الكريهة إلا أنه وجد في قراءته بعض التسلية وضياع الوقت .. قرأ من بين ما قرأ " وقد حبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق " سرى في جسده ارتياح أن بقاءه في الحجز لن يزيد على أربعة أيام يحقق معه فيها ، ثم يفرج عنه فهو بريء لم يفعل شيئاً يستحق الإدانة .. لكن صوت خاله أبى أن يتركه يمني نفسه بأن الفرج قريب " يـــا بـــني معظم من كان معنا في المعتقلات لم يفعلوا شيئاً يستحقون عليـــه الإدانة ، ولا يعرفون لماذا قبض عليهم ، ألا لعنة الله على قـــانون الطوارئ وعلى من أبدعه " .

حاول النوم ؛ فلم يستطع النوم ليلة الأمس .. وما كادت عينه تستسلم للنوم حتى أستيقظ على صوت السلسلة الحديدة تـــدق باب الحجز الحديدي .. قفز إلى ذهنه صورة المعتقلين في الحجـــرة التي بجواره الذي رُحِّلـــوا صـــباحاً وســـط الحراســـة المـــشددة

والإجراءات الأمنية المكثفة .. سيطر عليه إحساس بأنهم عـــادوا ليُرحِّلوه مثلهم .

لكن بدد أوهامه صوت الباشا يقول في حدة :

– أحضر الأواني لتأخذ التعيين .

أواني !! .. التعيين !! .. وبعد أن مرت فترة ذهول ، أدرك أن الباشا يريد أن يعطيه طعام الغداء ، وعليه أن يحضر الأواني ليأخذ فيها التعيين .

مازال الفول يملأ الإناء ، ماذا يفعل ؟ هو لا يريد طعاماً هو يريد أن يخرج .

– هيا أحضر الأطباق بسرعة .. ماذا تفعل عندك ؟

قال للباشا بتوسل عبر القضبان الحديدة حيث كان صوت الباشا آتياً :

– لا أريد طعاماً .. عندي منه الكثير .

قال الباشا بلهجة الأمر العسكري :

– لا بد أن تأخذ الطعام .

– مازال طعام الصباح كما هو .

قال الباشا وقد زادت حدة لهجته .

– لا بد أن تأخذ الطعام .. نفذ الأمر .

أسرع زياد إلى طبق الفول فأفرغه في الحمام بـــسرعة وغـــسل الطبق البلاستيكي بالماء بسرعة ، وإن كانت الدهون مازالت عاقة به وأعطاه للباشا .

وضع الباشا له فيه طبيخاً لونه غريب ورائحته أغرب ، وكالعادة تساقط كثير منه أثناء تمريره من بين القضبان الحديدة .

– هات طبقاً آخر ، بسرعة .

بحث زياد عن طبق أخر فوجد هناك طبق بجوار الحمام حيث موضع دخول وخروج " العرْسَة " أخذه مرتجفاً متأففاً ، كان به طعام قديم قد تعطن وغطته البكتيريا ، كان منظره يشبه صورة حيوان صغير قذر .

– احضر الطبق بسرعة .. سنة حتى تحضر الطبق .

أسرع إلى الحمام ليلقي بمحتويات الطبق فيه ويغسله ، ولكن محتويات الطبق كانت قد التصقت به وأبت أن تتركه .

قال للباشا بتوسل شديد :

– أرجوك .. أنا لا أريد طعاماً .. الطعام عندي كثير .. يكفي ما أعطيتني .. أرجوك .

– لابد أن تأخذ كل طعامك .. هات الطبق بسرعة .. هذا أمر واجب النفاذ .

ماذا يفعل .. أحضر ورقة الطعمية التي كان يقرؤها ، وأزاح بها بقايا الطعام العطن وهو يقاوم القيء .. وأخيراً أفلح في إفراغ معظمه ، أطلق الماء على الباقي لم تفلح المياه الضعيفة إلا أن تزيل جزءاً قليلاً من بقايا الطعام .

– الطبق بسرعة .. بسرعة .

جرى زياد بسرعة وقدم الطبق على ما به للباشا الذي ملأه أرزاً وقذف به إليه وانصرف حانقاً .

بعد انصراف الباشا .. أخذ زياد يتأمل طعام الغداء الأرز لم يتبيَّن فيه حبة أرز واحدة كاملة أو شبه كاملة إنما كـــان مثـــل " الأرز باللبن " غير أنه بلا لبن أو سكر . أما الطبيخ فمنظره حقاً غريـــب ليس من وجهة نظر صبي مدلل اعتاد أن يأكل ما لذّ وطـــاب في مترله وإلا اتصل فحضر له ما يشتهيه من كبرى المطاعم إنما منظر الطعام يأنف منه أطفال الشوارع الذين يتناولون طعامهم من أكوم القمامة ، ليس منظره فحسب بل رائحته كذلك فقد كانت نفَّاذه تشبه رائحة السولار بل هي رائحة سولار فعلاً ، ولو لم يلق مـــن صنوف الأذى البدني والنفسي غير هذا الطعام لاستحق المتـــسبب في حجزه المحاكمة الفورية .

أسرع بإلقاء طعام الغداء كله في الحمام وأطلق الماء على الأطباق البلاستيكية لعلها تنظفها دون فائدة .

راح زياد يُسائل نفسه في حيرة " لماذا يفعلون بي هذا وأنا برئ ؟ ماذا لو كنت مداناً حقاً ؟! "

بدأ يصدق الآن المآسي التي كانت تحدثـــه عنـــها في رســـائها وحواراها .

***

١١

لم يكن يصدق نفسه .. أحقاً أنه قد أفلت من يد أمن الدولة ؟! رغم أنه لم يزد احتجازه عن ثلاثة أيام أو ٥٤ ساعة وعشرون دقيقة فقط إلا أنه فور خروجه أخذ يتحسس جسمه وهو يجلس في حافلة الركاب التي رمى نفسه فيها .. لم يكن يعلم وجهة الحافلة .. لكن أية وجهة كانت المهم يبتعد بأسرع ما يمكن عن أمن الدولة.

بعدما تيقن من أنه لا يحلم وأنه بالفعل ابتعد عن أمن الدولة اتصل بأمه وطمأنها على نفسه .

وقف أمام بيت جدته وتردد كثيراً في الصعود إليها ، لكن أحداث الأيام الثلاثة الماضية دفعته بعيداً عن بيت جدته .

ندت دموع أمه وأختيه ملابسه كما ندت دموعه ملابسهن .

وبعد أن اغتسل وبدل ملابسه وأكل سألته أمه عما جرى :

– كنت ذهاباً لشراء " Pullover " من وسط البلد كما تعلمين، ورأيت مظاهرة عند نقابة الصحفيين ، وقفت لأرى ما يحمل المتظاهرون من لافتات ، وما يرددون من هتافات .

قاطعته أمه :

– وما دخلك أنت بهذه المظاهرات ؟ هكذا أنت دائماً تتــدخل فيما لا يعنيك .. ما لنا والسياسة والمظاهرات .. وطفقت تبكي .

– يا أمي لم أشترك فيها فقط كنت أشاهدها من بعيد .

قالت أسماء بشفقة : اعذرها يا زياد فالأيام التي مــرت علينــا كانت صعبة جداً .. Mama تعبت كثيراً في البحث عنك ومعرفة أخبارك .. وهي عائدة ظهر اليوم من دار القضاء العالي لم تتوقف عن البكاء طول الطريق ..

قالت سلوى وهي مازالت تبكي :

– لماذا تفعل بنا هذا ؟ .. هل هذه وصية أبيك بنا ؟!

صاحت أسماء يا أمي اتركيه يكمل الحكاية ، وبعد ذلك افعلي ما تشائين .

قال زياد معتذراً :

– والله يا أمي لم أفعل شيئاً .. لم أشترك في المظاهرات أنا كنــت بعيداً جداً عنها، وفوجئت برجل يشبه البلطجية ، يقول لي وهــو يدفعني بيده : "سر في طريقك .. ممنوع الوقوف هنا" دفْعَتَه الــتي كادت تسقط التليفون من يدي ولهجته الحادة أثارا غضبي فقلت له بحدة : "ما شانك أنت بي ؟ .. أقف أم أسير ؟ فإذا به يــدفعني دفعاً قويّاً وهو يسبني فلم أتمالك نفسي .. سببته مثلما ســبني .. ودفعته دفعة قوية أسقطته على الأرض ، وفي الحال تجمع عدد من الرجال وأمسكوا بي في البداية ظننتهم مــن أقــارب الرجــل أو معارفه ، ولكن اكتشفت أنهم من رجال الأمن المركزي .

قالت أمه في غضب :

– ألم يكفك مشاهدة المظاهرة حتى تضرب الـشرطة أيـضاً ؟! الحمد لله أنهم لم يحبسوك غير ثلاثة أيام فقط !!

– لم يكونوا يلبسون ملابسهم العسكرية يـا أمـي .. كـانوا يلبسون ملابس مدنية عادية مثلنا .

– ولماذا لم تتصل بي لتخبرني بما جرى ؟

– عندما أخرجت التليفون من جيبي لأتصل بك أخـذوه مـني ومنعوني من الاتصال.

قالت أسماء :

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– أركبوني سيارة " Microbus " وأخذوني إلى مكان لا أعرفه.. حققوا معي ساعتين .. ثلاثة .. ثم وضعوني في الحجز .

قالت شيماء وما شكل الحجز هذا :

– أبداً حجرة كبيرة بها مراتب وبطاطين كثيرة .. والأكل يأتي لي في موعده .. لم تمتد يد أحد إليّ بسوء .. لقد عـاملوني معاملـة محترمة جداً .. وأغلب الأوقات كنت نائماً فيها .

قالت أمه في غضب :

– أنت نائم ونحن ساهرون نبحث عنك في كـل مكـان .. الله يسامحك .. الله يسامحك .

بعد أن نام اثنتي عشرة ساعة متواصلة فتح عينيه وظل راقـــداً ، وراح يفكر فيما جرى له .

" لماذا يفعلون بي هذا ؟! يقبض عليَّ كالمجرمين ، وتعصب عليني، وأجر كالعميان ، ويحقق معي خمس ساعات متصلة ، ويلقى بي في حجز مع العرس ، والفئران ...)

انتبه على صوت تليفونه المحمول .

***

١٢

سلامات .. أحضان .. قبلات .. وربما عبرات أيضاً .

كان هذا لقاء الصديقين زياد وناصر .

– إذا لم تتصل بي كنت سأتصل بك .

– حمداً لله على سلامتك .. كيف حالك ؟ .. ماذا فعل بك أمن الدولة ؟ .. ولماذا قبضوا عليك ؟ .. هل تحوَّلت إلى ناشط سياسي مثل أبي أم أنت admin Group خالد سعيد دون أن أدري؟!

قال ناصر ذلك وهو يضحك .

قال زياد هامساً وهو يتلفت حوله :

– لقد رأيت يومين يا ناصر لم أر مثلهما في حياتي كلها .

– احك لي بالتفصيل يا زياد .. لقد كنا منشغلي البال عليك .

– نتحدث في غرفتك أفضل .

– تحدث يا زياد لا أحد يسمعنا .. أمــي في المطــبخ ، وأبي في حجرة مكتبه منشغل بالعمل .. تكلم يا زياد .. هل أنت خائف ؟

– قال زياد بغضب ظاهر أحس به بعد سماع كلمة " خائف " :

– خائف .. لا .. لا .. أنا فقط كنت أريد أن نكون بحريتنا .

صحب ناصر زياداً إلى حجرته ، حجرة صغيرة بها سرير يـــسع شخصاً واحداً يوجد على يسار الباب في مواجهته دولاب صـــغير له بابان فقط وثلاثة أدراج ، ومنضدة عليها جهـــاز Computer وبعض الكتب . وأمامها كرسي واحد . وخلف المنضدة صـــورة كبيرة نادرة لتشي جيفارا يستلم درعاً تذكارياً من جمـــال عبـــد الناصر، وصور أخرى للاعبي كرة قدم أجانب .

جلس زياد على حافة السرير بينما جلس ناصر على الكرســـي بعدما أدراه ناحية ناصر كعادتهما دائماً .

قال ناصر :

– ها نحن أصبحنا بمفردنا .. حدثني ماذا حدث لـــك في أمـــن الدولة ؟ .. ولماذا أخذوك أصلاً ؟!

وقبل أن يجيب زياد سمع رنة تليفونه .

– إنها رنا .

– سألتني كثيراً عنك .. خذ حريتك في الكلام .. سأحضر لك شيئاً تشربه .

– أهلاً .. رنا .

– زياد .. أين كنت ؟ .. أربعة أيام .. لماذا لم ترد على اتصالاتي أو رسائلي .. تكلم أين كنت ؟

– ....

- لماذا أنت ساكت؟ لماذا أغلقت تليفونك ؟

- ....

- تكلم .. تكلم ..

لا يدري ماذا يقول لها ؟ وبم يعلل عدم رده على اتصالاتها وإغلاق تليفونه .

بعد تردد قال لها :

- كنت منشغلاً في هذه الفترة .

قالت في دهشة :

- ناصر قال لي أنك مريض .. عندك برد .

قال مستدركاً :

- نعم .. نعم .. كان عندي برد .

- ولماذا لم ترد على اتصالاتي ورسائلي .. ؟!

- كنت متعباً لم أستطع الرد على الاتصالات .. واضطررت لإغلاق التليفون .

- كيف حالك الآن ؟

- الحمد لله .

- أريد أن أراك .. لقد أوحشتني جداً جداً جداً . ألم أوحشك أنا أيضاً ؟

بصعوبة استطاع أن يتخلص منها وينهي المكالمة بعد أن وعدها أن يكلمها في أقرب فرصة ..

انتظر ناصر زياداً حتى انتهى من كلامه مع رنا ثم أخبره أن أباه يريد أن يراه ويطمئن عليه ، وأنه منتظره في حجرة الاستقبال .

بعد أن رحَّب والد ناصر بزياد وشدَّ على يديه قال له :

– ماذا حدث يا ابني ؟ لماذا قبضوا عليك ؟

– كنت على موعد مع ناصر لنشتري شيئاً من وسط البلـــد ، وعندما خرجت من محطة جمال عبد الناصر وجدت أني وصـــلت قبل الميعاد بحوالي نصف ساعة .. سمعت هتافات عاليـــة ورأيـــت ازدحاماً عند نقابة الصحفيين .. ذهبت لأكتـــشف الموضـــوع .. رأيت حضرتك تمسك Microphone وتهتف .. أخرجت التليفون لألتقط بعض الصور لحضرتك وأجعلها مفاجأة لناصر .. فمـــنعني رجل ذو سحنة غريبة من التصوير وتشاجر معي .. وعندما دافعت عن نفسي قبضوا عليَّ وأخذوني إلى ضابط شرطة .. بعد أن نظـــر في بطاقتي الشخصية تحدث معي بطريقة مهذبة وأعطـــى البطاقـــة لرجل مدني نحيف الجسد حاد البصر ، وطمأنني أن الأمـــر لـــن يستغرق بضع دقائق يكشفون فيها على البطاقة ثم يخلى سبيلي.

قال ناجي الكاشف في لغة تقريرية :

– هذا إجراء طبيعي لمعرفة إن كان لك ملف عنـــدهم أو لـــك نشاط سياسي معارض أو لك علاقة بشخص ... المهم ماذا حدث بعد ذلك ؟

– انتظرت أكثر من ساعة حتى عاد الرجل النحيف الذي همس في أذن الضابط ببعض الكلمات تبدل على أثرها الوضع تماماً .. قبضوا عليَّ كالمجرمين وأركبوني سيارة وجلس بجواري رجل ضخم الجثة في الخلف أما الرجل النحيف الذي كشف على البطاقة فجلس بجوار السائق .

– هل سبق أن قُبض عليك أو حقق معك قبل ذلك ؟

– لا .. هذه أول مرة .

– أمر غريب .. معنى أنهم قبضوا عليك بعد الكشف عن بياناتك أن هناك شيئاً ما ضدك ..المهم إلى أين أخذوك ؟ إلى لاظوغلي أم مدينة نصر أم الدقي أم إلى ..؟

– عبرت السيارة كبري قصر النيل في اتجاه الجيزة ..

– إذن أخذوك إلى أمن الدولة الموجود في الدقي – جابر بن حيان ، وماذا بعد ؟

– عصبوا عينيَّ .. جروني كالعميان .. وحققوا معي خمس ساعات متصلة .. ثم ألقوا بي في محبس انفرادي مع العرس والفئران لمدة ثلاثة أيام ...

– ما التهم التي وجهوها إليك غير تصويرك المظاهرة ؟

– سألوني : إلى أي حركة أو جماعة أنتمي ، وماذا أعرف عن : ٦ أبريل ، والإخوان ، وبعض الأسماء مثل : إسراء محفوظ وغيرها.

قال ناصر وهو يبتسم :

– تقصد إسراء عبد الفتاح أم أسماء محفوظ ؟

– كلتاهما وغيرهما .

قال ناجي بود :

– المهم حمداً لله على سلامتك .. لا تغضب يا ابني مما جرى لك .. فهذا يحدث كل يوم .. وكلنا معرضون له .. لقد كنت حسن الحظ أن أخذوك إلى جابر بن حيان .

قال زياد وهو يكظم غضبه :

– لكن يا عمي .. أنا لم أصنع شيئاً .. لم أرتكب جريمة .. فلماذا يحتجزوني ثلاثة أيام ؟!

قال ناصر غاضباً :

– زياد يا أبي لا علاقة له بأي نشاط سياسي .. وهو كما ترى لا يعرف اسمي أشهر مدونتين سياسيتين .

ناجي :

– وهل نحن الذين ارتكبنا الجرائم يا ناصر حتى يقبضوا علينا ويعتقلونا مع المجرمين ؟!! .. لا تحزن يا زياد يا ابني كل المصريين معرضون لما تعرضت له .. أنا أمضيت نصف حياتي في السجون والمعتقلات لا لسبب إلا أنني أطالب بالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ...

قطع دخول لاميس وهي تحمل أكواب الـشاي كـلام نـاجي الكاشف .

– أهلاً .. يا ابني .. حمداً لله على سلامتك .. والدتك كـادت تجن بسببك .

قال ناجي مازحاً :

– أمه تجن بسبب اعتقاله يومين أو ثلاثة فقط .. كـان الله في عون والديَّ اللذين تحملا بُعْدِي عنهما أعواماً .

ردت لاميس مازحة :

– ولم يكن الله في عوني أنا أيضاً ؟!

قال ناجي بامتنان وحب :

– الحقيقة أنك تحملت الكثير معي .. لقد تحملت كـل أعبـاء الأسرة أثناء فترات اعتقالي وسجني .

قال زياد متعجباً :

– لماذا يفعلون " بحضرتك " وأنت كاتب وصـحفي معـروف بالوطنية ؟!!

– إن هذا النظام مؤمن بقول جورج بوش بعـد أحـداث ١١ سبتمبر " إما أن تكون معي أو تكون ضدي " فإما أن تكون مـع النظام في استبداده وفساده ، وإما أن تكون ضده .

لاميس :

– وإذا كنت ضده صبَّ النظام عليك لعناته : تشويه .. اعتقال.. سجن .. اتهام بالخيانة والعمالة

قال زياد بغضب :

– وأين الدستور والقانون ؟ وأين الحريات التي نسمعها ليل نهار في كل وسائل الإعلام .

قال ناجي مازحاً :

– الحريات نسمع عنها فقط لكن لا نراها ، يا ابني نحن نحكم بقانون الطوارئ منذ ثلاثين عاماً .. وأظن أنك رأيت بنفسك بعض ممارساته .

قال زياد :

– والحل .. إلى متى نصبر على هذا القهر والفساد ؟

ناصر :

– المشكلة الأكبر ليست في مبارك .. إنما في جمال ابنه .

قالت لاميس موجهة كلامها لناجي :

– هل صحيح أن مبارك يُعِدُّ ابنه لوراثة الحكم ، كما حدث في سوريا ؟!

ناجي : لا أظن .. مصر غير سوريا .. ومبارك وجمال ينفيان ذلك .. أنا شخصيّاً أستبعد ذلك .. مبارك أذكى من أن يفعل هذا

.. أنا اعتقد أن مبارك سيرشح نفسه في سبتمبر القادم .. لا .. لا .. مصر ليست سوريا ، ولا تونس .

قال ناصر بحماس :

– إن النظام الذي قام بالتعديلات الدستورية ٢٠٠٧ التي أقصت الإشراف القضائي عن الانتخابات ، وقصرت شروط الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية على مرشح الحزب الوطني ، وزورت انتخابات مجلس الشعب من السهل عليه أن يفعل ما يشاء مادام الناس متقبلة ومستسلمة.

ناجي :

– يبدو أنك بدأت تتأثر بكتابات المدونين وشباب الناشطين السياسيين .

لاميس :

– من شباب الناشطين يا ناجي ؟

ناجي :

– اسألي ابنك فهو يعرفهم أكثر مني ؛ فهو شباب مثلهم .

قالت لاميس بمزيج من الدهشة والشفقة والإعجاب :

– هل أصبحت ناشطاً سياسياً أنت أيضاً يا ناصر ؟!

قال ناصر بحزن مكتوم :

– إنها مجرد تعليقات على الأحداث المؤسفة التي نراها كل يوم.. مجرد تنفيس عن حالات الغضب والإحباط التي نعيشها.

لاميس : أخشى عليك من رجال أمن الدولة .. لقد أصـــبحوا هذه الأيام مثل الكلاب المسعورة لا يتركون أحداً إلا آذوه .

قال ناصر : لا تخافي يا أمي .. نحن نُوقّع بأسمـــاء مـــستعارة ، ومستحيل أن يتعرفوا على الأسماء الحقيقية أو يعرفوا مكانهم .

لاميس مشفقة وهي تنظر إلى ناصر وزياد :

– اتركوا هذا الكلام للسياسيين وانتبهوا أنتم لدراستكم .

قال ناصر بغضب مكتوم :

– ما فائدة التعليم والمستقبل مظلم كما ترين ؟! .. ماذا بعد أن نتخرج في الجامعة وقد حصلنا على أعلى الشهادات ؟! لقد أوقف التعيين منذ عام ٢٠٠٣، وبلغت نسبة البطالة في مـــصر ٥١ % من حملة المؤهلات العليا ..

لاميس : لكنكم لا تفهمون في السياسة .. اتركـــوا الـــسياسة لأصحابها .

قال ناصر : النخبة السياسية ، معذرة يا أبي ، الـــتي نـــشأت في عهود الحكم العسكري فقدت ثوريتها ونضالها وســـكتت عـــن جرائم النظام الحاكم .

قال ناجي بحماس :

– لم نسكت .. لقد قمنا بالعديد من المظاهرات والاحتجاجات اعتراضاً على ..

قال ناصر بحماسة كبيرة موجهاً كلامه لأبيه :

– وما النتيجة ؟ .. لقد عصف مبارك بكـــل مـــن نافـــسه في انتخابات ٢٠٠٥ ، وزرع الفتن بين أعضاء الأحزاب فـــشغلهم بأنفسهم .. هذا النظام يا أبي لا يأبه باحتجاجاتكم .. ألم يعلق على برلمانكم الشعبي الذي كونتموه بديلاً عن البرلمان المزور بقولـــه " خليهم يتسلوا " .. لقد قامت ثورة في تونس بسبب واحد أحرق نفسه .. وفي مصر أربعة أحرقوا أنفسهم .. فماذا فعلتم ؟! .

لاميس :

– قل لي يا ناجي .. أيمكن أن يحدث في مصر مـــا حـــدث في تونس.. أيمكن أن تقوم ثورة وتسقط النظام ؟

قال ناجي بهدوء وثقة :

– لا أظن .. مصر دولة لها تـــاريخ طويـــل في الاســـتبداد .. الشخصية المصرية مسالمة وقبضة النظام فيها قوية .... كمـــا أن حرية التعبير التي سمح به النظام تنفس عن غـــضب الثـــائرين .. بعكس الشخصية التونسية الثائرة التي حرمت من كـــل مظـــاهر الحرية ..لا ..لا الوضع في مصر مختلف .

***

١٣

عندما مر ببيت جدته هذه المرة لم يتردد وأسرع بطـــرق بابهـــا وبدون مقدمات طويلة طلب من جدته الـ Laptop .

بعد حوار قصير مع أمه وأختيه دخل حجرته وفتح الـ Laptop ، لم تكن متصلة، وبعد أن استبد به الملل ظهر اتصالها.

– من ساعتين وأنا مستنيكي .. كنتِ فين ؟

– كنت فين أنت من أربعة أيام .. ما بعتلــيش حاجـــة ومـــا قرأتلكش أي تعليق .. قلت طلع عيِّل ومانزلش .. علشان كـــده مكسوف مني .

– لا .. لا والله نزلت .. أنا مش عيِّل .

– أنت كدَّاب .. أنت ما فيش فايدة فيك أبداً .. جبان .

– أنا مش جبان .. أنا نزلت والله .. بالأمارة كنتم واقفين على سلم نقابة الصحفيين حوالي ١٥٠ واحد .. أنا صورتكم كمان .. لكن أمن الدولة لما خدوني مسحوا الفيديو اللي صورته .

– أمن الدولة خدك كمان .. أنت هجَّاص آخر حاجة .

– أنت ليه مش عايزة تصدقي أنك مش أشجع مني ؟ .. مـــصر فيها رجَّالة جدعان مش أنت بس .. ولو كنت أعـــرف شـــكلك كنت وصفت لك كنت لابسه إليه يومها ..

– بس أمَّال أنا مشفتكش ليه .. ولا بـــصيت علينـــا وخفـــت ومشيت على طول .. جبان .

– لو سمحت ما تقوليليش كلمة جبان دي مرة تانية .. أنا نزلت زي ما وعدتك وضربت عسكري وخدوني أمن الدولـــة قعـــدت ثلاثة أيام وخرجت إمبارح بالليل .

– مش ملاحظ أن موضوع أنك ضربت عسكري وخدوك أمن الدولة أوفر شوية .

– أنا عارف أنك مش هتصدقيني .. لكن أقسم بالله العظيم إن ده حصل .. أمال إيه اللي كان بعدني عنك اليومين اللي فاتوا .

– لو كنت راجل بصحيح ووطني زي ما بتقول أنزل معانا يوم ٢٥ يناير .

– أيه حكاية ٢٥ يناير دي .. مش لازم أعرف الأول قبل مـــا أنزل .

– وكمان مش عارف يوم ٢٥ يناير !!!! وعملـــي ثـــورجي .. وأمن دولة .. يا عم روح نام .. سلام .

بعد أن فقد اتصالها كاد ينفجر من الغيظ .. لعن اليوم الذي قرأ فيه رسالتها على بريده الإلكتروني تدعوه إلى النزول لمظاهرة يـــوم

الجمعة ١٣ يناير ، ولعن اليوم الذي دخل فيـه علـى صـفحتها Siham Spartacus على Facebook .

أغلق الجهاز والنور وحاول أن ينام .. لكن صـورة " آنـدي ويتفيلد " بطل مسلسل " سبارتاكوس ، الدم والرمل " وقسمات وجهه الحادة ونظرته الثاقبة وعضلاته المفتولة وصـدره العـاري تشعرانه بالضعف وهو إحساس لم يعتد عليه من قبل ؛ فهو معروف بالاندفاع والتهور .. " ترى من تكون Siham Spartacus؟! .. وما اسمها الحقيقي .. بالتأكيد سبارتاكوس اسم مستعار .. لكـن هل سهام هو اسمها الحقيقي أم أنه جمع سَهْم ؟!! .. ولماذا لم تضع صورتها الحقيقية ووضعت هذه الصورة التي حرمتني مـن تخيـل صورتها ؟! .. ولماذا أنا متعلق بها إلى هذا الحد رغم أنهـا كانـت السبب فيما جرى لي ؟! وما حكاية يوم ٢٥ يناير الذي تـدعوني للنزول فيه ؟

بعد أن تقلب في فراشه لأكثر من ساعة .. نهض .. دخل الحمام .. ترك رأسه لشلال الماء الساخن عله ينظفه من الأفكار العالقـة فيه .

***

١٤

ما كاد ينتهي من إفطاره حتى أسرع إلى جهازه يفتحه ويبحث عن ٢٥ يناير .

" عيد الشرطة وهو يوم إجازة رسمية في جمهورية مصر العربية وتوافق يوم ٢٥ من شهر يناير من كل عام .

وهو يعد تخليدًا لذكري موقعة الإسماعيلية ١٩٥٢ التي راح ضحيتها خمسون شهيداً وثمانون جريحًا من رجال الشرطة المصرية علي يد الاحتلال الإنجليزي في ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ بعد أن رفض رجال الشرطة تسليم سلاحهم وإخلاء مبني المحافظة للاحتلال الإنجليزي . "

تعجب مما قرأ .. هل تريدني أن أحتفل بعيد الشرطة ؟! .. كيف؟!!

أكيد ٢٥ يناير تاريخ لمناسبة وطنية أخرى غير عيد الشرطة .

واصل البحث .

توقف عند إحدى صفحات التواصل الاجتماعي Facebook شده اسم صاحبة هذه الصفحة فقد سمع اسمها عدة مرات في الفترة الأخيرة .

Asmaa Mahfouz

هتعمل إيه في عيد الشرطة بعد كل الأحداث اللـــي حـــصلت بسببهم الفترة اللي فاتت .

7 يناير في الساعة 06:47 مساء . أعجبني ، تعليق

أشخاص (5) معجبون بهذا

Bahaa Khedr : هنحتفل بعيد الشرطة .

Abdallh Mohamed : هقعد اتفرج على مفيد فـــوزي وهـــو بيحاور العادلي وأجيب شوية شيبسي وأقعد أضحك عليهم .

Mohamed Soka : ده عيد ميلادي مش هعمل حاجة أكتر من أني احتفل بيه.

Siham Spartacus : يا شباب خدوا الموضوع جد شـــوية لازم نعمل حاجة مفيدة .

أثاره الموضوع جداً ولكي يفهم تسلسل الموضوع بدأ يقرؤه من الأقدم إلى الأحدث .

....

Asmaa Mahfouz

توضيح مهم جداً :

اللي حصل في كنيسة الإسكندرية ده كان إرهـــاب سياســـي بسبب تقصير أمني

ولما الأمن يقبض على شوية سلفيين ويعذبهم علشان يطلع منهم بأي معلومة يداري بيها اللي حصل ويثبت أنه شغال ويموت منهم واحد دي اسمها قلة أدب أمنية

وده أن دل على شيء فيدل على أننا متضهدون مسلم ومسيحي وكلنا لازم نعرف كارثتنا عند مين

مش نولع في بعض زي اللي بيحصل دلوقتي .

7 يناير في الساعة 10:07 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (41) معجبون بهذا

Abdurrahman Ezz : قلة أدب ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

Kerry Guirguis : المعارضة الكدابة ولا الناس اللي صادقة.

Mohamed magdi محامي في محامي عام : حسبي الله ونعم الوكيل فيمن قتل جاري وأخي الشيخ سيد بلال

Siham Spartacus : والله أنا حاسة أن أمن دولة هو اللي عمل موضع كنيسة القديسين ده علشان ينتقم من كل المعارضين واللي ليهم صوت في البلد دي

El-Gin : ما هو لازم أمن الدولة يعمل كده أمال يسيب السلفيين يقتلوا اخوانا المسيحيين في عيدهم

Siham Spartacus : ياجن أعوذ بالله منك ومن أمثالك اللي بيبرروا كل إجرام أمن الدولة وإن شاء الله هايجي عليك الدور ويشدوك وساعتها ابقى ابعت لنا رأيك في أمن الدولة

محمد المصري : هي دي أول مرة أمن الدولة يقتل واحد ما طول عمره بيقتل في خلق الله الأبرياء من أيام صلاح نصر وللا نسيتوا

Adham Mohammed : أنا قرأت أن أمن الدولة هجم على بيت سيد بلال وجاب عاليه واطيه وخد الكمبيوتر بتاعه وقعد يعذب فيه لغاية مات وبعد كده اتصلوا بأهله ييجوا يستلموه وأهله لما شافوا الجثة مدبهدله ومافيهاش حته سليمة رفضوا يستلموه وطلبوا النيابة وحرروا محضر بالواقعة .

Ghoneim : وده مش أول واحد يموت من التعذيب أنتم ماسمعتوش عن خالد سعيد ولا إيه .

اقشعر جسد زياد وضاق صدره وتحشرجت أنفاسه عندما تصور أنه كان من الممكن أن يحدث له ذلك ، وانتابته حالة هي مزيج من الخوف والحزن والغضب والضيق .

نهض .. دخل الحمام .. توضأ وصلى الظهر .. وقف في الشرفة يتأمل السماء والسحب الداكنة .. أشعة الشمس التي تحاول اختراق السحب .. أحس ببرودة شديدة .. عاد إلى حجرته .. وجد جهازه مازال مفتوحاً .. رغم أنه مازال يحس بالضيق إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من مواصلة القراءة .

Ghoneim : وده مش أول واحد يموت من التعذيب أنتم ماسمعتوش عن خالد سعيد ولا إيه .

لقد سمع عن خالد سعيد هذا لكنه لا يعرف قصته بالضبط بحث عن الاسم .

٦ يونيو ٢٠١٠م وخلال تواجد خالد سعيد مع غيره من الشباب داخل مقهى إنترنت في منطقة كليوباترا بمدينة الإسكندرية دخل مخبرا شرطة قسم "سيدي جابر" وطلبا من الجميع الوقوف وإبراز بطاقاتهم. وشرعا في تفتيشهم ذاتياً بطريقة استفزازية أبدى خالد سعيد اعتراضه على الطريقة التي يفتشانه بها .. بدأ المخبران في ضربه على رأسه ثم أوثقا يديه وراء ظهره ودفعاه خارج مقهى الإنترنت ؛ مما أدى إلى فقدانه الوعي الأمر الذي سهل عليهما سحله إلى خارج المقهى وتبادلا ركله بأحذيتهما الثقيلة في أماكن حساسة وأخرى مميتة تحت سمع وبصر أصدقائه ورواد المقهى ثم ألقيا به داخل عربة شرطة وهو بين الحياة والموت .

ولم يمض وقت طويل حتى عادا بجثته وألقياها أمام مقهى الإنترنت الذي أخذاه منه واتصلا بالإسعاف التي جاءت وحملته إلى المستشفى حيث سارع طبيب التشريح إلى إصدار تقريره بأن سبب الوفاة كانت ابتلاع جرعة زائدة من المخدرات .. أمرت النيابة بإعادة تشريح الجثة التي أثبتت أن شرايين ودماغ ومعدة وأمعاء القتيل لم تكن تحتوي على آثار مخدرات . وأن المخدرات قد

تم حشوها في تجويف فمه بالقوة بعد وفاته وظلت داخل تجويف الفم . وبالتالي فلا مجال للزعم بأنه ابتلعها . كما لا توجد أدلة على أن القتيل كان مدمناً لتعاطي المخدرات .

عندما شاهد زياد صورتي خالد سعيد قبل التعذيب والقتل وبعدهما أشياء كثيرة تغيرت فيه .

***

١٥

رجل ضخم الجثة أصلع الرأس منتفخ الصدغين ذو شارب قصير مهندم ، ونظارة بيضاوية الشكل ذهبية اللون ، أما العينان فعينا بومة ثابتتان في محجرهما ، مطبق الفم مبهم الصوت يديره في خيشومه وحلقه لا يحرك فيه لساناً ولا شفة ، يلبس بدلة ضائقة به ويحمل حافظة أوراق أنيقة ترتفع الأيدي بالتحية له كلما رأته .

بعد أن عبر العديد من الدهاليز والردهات وقف أمام باب ضخم وبعد أن أذن له دخل .

حجرة كبيرة أثاثها فاخر كأنها حجرة اجتماعات ، مكتب كبير في الصدارة خلفه رجل لا يظهر منه سوى وجه أشبه ما يكون بوجه خفاش على رقبة معروقة يجلس على كرسي ضخم جداً أسود اللون لا يتناسب مع ضآلة جثته كأنه جناحي خفاش ، خلفه صورة كبيرة جداً للرئيس .

بمجرد جلوسه قال له :

– خيراً .. يا حسن .. طلبت مقابلتي على عجل .

– الحقيقة يا باشا عندي تقرير مهم جداً أريد أن أطلع سيادتك عليه .

– عم يتحدث هذا التقرير ؟

– عن عدم استقرار الوضع الأمني في البلد .

– ألم ينته موضوع تفجير الكنيسة ؟ .. أنا أعد الآن الخطاب الذي سألقيه يوم الأحد القادم وأكشف فيه عن مرتكبي هذه الجريمة وأثبت للرئيس قدرتنا على حفظ النظام ومحاربة أعدائه في الداخل والخارج .

– الأمر أكبر من شعور الناس بعجز النظام عن توفير الأمن للمواطنين وإثارة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين وإلقاء التهم كلها على الجماعات الدينية .

ضغط الرجل الخفاش على ذر وقال :

– لا تحوِّل لي أية مكالمات الآن إلا إذا كانت من الرئاسة .

ثم واصل كلامه :

– ما الأمر إذن ؟ .. تكلم يا حسن .

– يا فندم .. هناك عوامل كثيرة تهدد استقرار النظام ، وتحفز على الاضطرابات .

– تكلم يا حسن .. هات كل ما عندك .

أخرج حسن ملفاً من حافظته وبدأ يقرأ :

– بالرغم من خصوصية الحالة التونسية، واستبعاد تكرار ما حدث في تونس بدول عربية أخرى خاصة مصر للعديد من الاعتبارات، فإن القراءة الصحيحة لتوجهات الأوضاع في المنطقة،

تنذر بمخاطر حقيقية يتعذر معها الجزم بأن أيّاً من الدول العربية بمنأى عن الخطر، وذلك في ظل عدد من المعطيات من بينها الانقسامات التي يشهدها الوطن العربي، بدايةً من احتلال العراق، وانفصال جنوب السودان، والأزمة الفلسطينية، ومظاهر عدم الاستقرار في اليمن والأردن ولبنان ..

قاطع الرجل الخفاش حسناً بلهجة لا تخلو من حدة :

– ما هذا يا حسن ؟! ما علاقة الوضع الداخلي في مصر باحتلال العراق ، وانفصال السودان وفلسطين ولبنان .. ؟!

– سأخبر سيادتك يا فندم .

وواصل القراءة :

– إن المراقبين والمحللين السياسيين، اعتبروا أن الوضع الراهن في مصر يحمل في طياته مخاطر حقيقية، قد لا تصل تبعاتها إلى ما آلت إليه الأوضاع بدولة تونس، إلا أنه لا يمكن إغفالها أو التهوين من احتمالات تطورها على نحو مفاجئ، يتعذر معه بلورة رؤية واضحة لنتائجها، خاصة مع معطيات الواقع المعيشي والتوتر الاجتماعي، والخروج على الشرعية، وزيادة المطالب القبطية .

– وضح كلامك .. أذكر لي حقائق عملية .. أنا لا أريد كلاماً إنشائيّاً .

واصل حسن القراءة بعد أن تجاوز عدة أسطر :

– إن الوضع في مصر قد يقترب من تونس، بسبب زيادات الأسعار المتتالية وارتفاع رسوم الخدمات، ووقوع تجاوزات من قبل رجال الإدارات المحلية تجاه المواطنين، فضلاً عن تبنى العناصر " المدعومة خارجيّاً " بالتحالف مع كيانات وقوى غير شرعية مثل الدكتور محمد البرادعى، وجماعة الإخوان المحظورة في الدعوة لتنظيم مسيرة سلمية حاشدة، بحجة التنديد بتزوير انتخابات مجلس الشعب السابقة، والمطالبة بحل البرلمان .

– بالإضافة إلى موضوع الكنيسة .. وخالد سعيد .. ونشاط المدونين على Internet .

– ولا تنسى يا فندم موضوع التوريث .. وتصدير الغاز لإسرائيل .. وانتشار البطالة .. وإلغاء التعيين في الحكومة ...

– وما العمل يا حسن ؟ الرئيس معتمد اعتماداً أسياسياً علينا .

– هذه المشكلات حلها ليس في يد الأمن يا فندم .. والتدخلات الأمنية لن تحل هذه المشكلات السياسية بل تزيدها تعقيداً .

– ما الحل ؟ .. قل لي .

أخرج حسن ملفاً آخر من حافظته وقال وهو يقدمه :

– هذه هي المقترحات لحل المشكلة .. ولا بد أن سيادة الرئيس ينفذها فوراً ، وأن يواجه بها مؤسسة الرئاسة وإلا ...

بعد أن قرأ الرجل الخفاش التقرير قال متسائلاً وهو ما يزال ينظر إلى التقرير :

– بالنسبة لموضوع الحيلولة دون حدوث أية زيادات جديدة في المواد الغذائية، والطاقة خاصة البترين، وزيادة الأجور والمرتبات، وتنشيط الأجهزة الرقابية بالدولة وحماية المال العام، والتصدي لمحاولات الاستيلاء على أراضي الدولة، أو التحايل على القوانين لتحقيق مكاسب طائلة على حساب مصالح الغالبية ...

هل تظن يا حسن أن : عز ونظيف وزكريا وغالي .. والأستاذ جمال والهانم سيوافقون على ذلك ؟!!

– يا فندم لابد أن يعلم سيادة الرئيس ضرورة تنفيذ هذه التوصيات ويفرض عليهم تقبلها .

– ماذا تقول يا حسن ؟!! الرئيس بعد موضوع حفيده ، الله يرحمه ، ترك الأمر لهم ، وأقام في فيلا شرم الشيخ .

– لا بد يا فندم من إجراء هذه الإصلاحات الاقتصادية والسياسية وإلا ...

قال الرجل الخفاش وهو ما يزال ينظر في التقرير :

– أتوصي بتنفيذ الأحكام القضائية الخاصة ببطلان الانتخابات البرلمانية ببعض الدوائر، والدفع بعناصر جديدة من المعارضة لدخول البرلمان، وإصلاح منظومة التعليم، والنهوض بمستوى الرعاية الصحية وحل مشكلات الأقباط ومياه النيل ؟!! وماذا .. تعيين نائب لرئيس الجمهورية ؟!!!

ألقى التقرير على المكتب وقال مستهولاً ما قرأ :

– هذه هي التوصيات !! وتريدني أن أسلمها للرئيس !! يجب أن تعرف أن هذه التوصيات قبل أن تصل للرئيس لا بد أن تمر على زكريا وأنس وجمال والهائم .

– يا فندم .. الأمر هذه المرة غير كل مرة .. لقد تضافرت عوامل كثيرة لزعزعة النظام وتنفيذ هذه التوصيات في هذا التوقيت يهدئ من مخاوف الكثيرين على مستقبل الأوضاع بالبلاد، ويصادر التكهنات والتوقعات التي تجنح إلى الرهان على قرب حدوث فراغ سياسي، أو يروِّج لإصرار النظام على توريث الحكم .

– أنت تطلب مني المستحيل ، ولكن دعني أفكر في الأمر .

– أرجوك يا فندم بسرعة الأمر لا يحتمل التأخير .

– يجب أن تنتبه أنت ورجالك جيداً ، وأن تأخذ كل التدابير المناسبة لمنع حدوث شيء ، فأنت تعلم أن الرئيس أعطانا صلاحيات مطلقة من أجل الحفاظ على النظام؛ فلا ينبغي ألا يخيب ظنه فينا .. وإلا أنت تعلم جيداً مصير أمثالنا إن حدث زعزعة في الأمن .

***

١٦

عندما رأى اسمها تردد في الرد ، لكنه خشي عدم توقف تليفونه عن الرنين إذا لم يرد .. لا يريد أن يغلق التليفون فتغضب وهو لا يريد إغضابها أكثر من هذا .

– أهلاً .. رنا .

– كيف حالك يا زياد ؟ أوحشتني جداً جداً .. أريد أن أراك .. منذ بدأت الأجازة ولم أرك أو أسمع صوتك .. ألا تريد أن تراني ؟!

– وأنا أيضاً .. لكن حالتي النفسية سيئة هذه الأيام ...

– ما السبب ؟ .. احك لي .. لا تخفي عني شيئاً .. ما رأيك في أن نتقابل في النادي وتحكي لي .. يمكنني مساعدتك .

– سلام يا رنا .. أمي آتية .

جلست أمه على حافة سريره وقالت له بحنان :

– مالك يا زياد ؟ .. منذ موضوع أمن الدولة وأنا أحس أنـــك تغيرت .

– أبداً يا أمي .. لا شيء .

– أنا أمك .. احك لي .. ألا تزال غاضباً مني ؟

– أنا لا أغضب منك أبداً يا أمي ..لكن لا أدري سبباً لحالة الحزن التي أشعر بها.

– هل ما زلت تفكر في موضوع أمن الدولة ؟

– لا .. لا ..الموضوع ليس له علاقة بأمن الدولة .. فقط هناك موضوع يشغلني.

– ما هو ؟ .. احك لي .. يمكن أن أساعدك .. أتحتاج لنقود ؟ .. قل لي .. خير ربنا كثير والحمد لله .

– لا .. لا .. يا أمي الموضع ليس له علاقة بالنقود .

– موضع ماذا إذن ؟ .. ما سبب حبس نفسك في حجرتك ؟ .. نحن لا نراك إلا في مواعيد الطعام .. لا أدري ماذا أقول لأبيك عندما يتصل .. لو عرف أني أخفيت عنه موضوع أمن الدولة فلن يغفر لي ..

بعد خروج أمه عاد يفكر في الحِمل الذي تركه له أبوه " لو كان أبي هنا .. لما ترددت هذا التردد .. كنت سأصبح مسئولاً عن نفسي فقط " .

لم يمنع نفسه من مواصلة القراءة .. لا يدري لماذا يحب الدخول على هذه الصفحة تحديداً ؟ .. هل لأن صاحبتها معروفة الاسم والصورة ؟ .. هل لأن صاحبته لها تعليقات كثيرة على هذه الصفحة ؟ .. هل لجرأة صاحبة الصفحة وإخلاصها في سبيل

قضيتها ؟ .. لا يدري إلا أنه عندما يفتح الكمبيـــوتر أول شـــيء يدخل عليه بعد بريده الخاص هو هذه الصفحة .

Asmaa Mahfouz

ممكن أطلع بيافطة أطالب بيها إقالة الرئيس مبارك قدام القـــصر الرئاسي

ولما يضربوني بالنار وأموت

الناس تولع وتترل الشارع ؟

مبارك يقتل فتاة مصرية حين احتجاجها على فساده

تفتكروا ممكن الشعب يتحرك ساعتها ؟

19 يناير 03:06 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (11) معجبون بهذا

Mohammed Salah Baraka محدش هيتحرك

Mohamed Morad توكلي على الله وكلنا وراكي

هزته الرسالة وغاظه التعليق الأول فكتب :

Tariq ibn Ziyad : سنتحرك إن شاء الله ولو هنضحي بحياتنا البلد لسه فيها رجالة جدعان أما صاحب التعليـــق الأول فخليـــه قاعد في البيت زي الستات .

Siham Spartacus : جدع يا زياد .. بس يا ترى هتترل يـــوم ٢٥ يناير ولا لأ ؟

سارع بالرد وهو في قمة الانفعال والحماس :

Tariq ibn Ziyad : أنا هنزل ولو مافيش حد نزل غيري

Ahmed Elgamaly : لازم نتزل ولازم يكـــون في أمـــل لازم الناس تفهم أن إحنا اللي بنصنع الفرصة وإحنا اللي بتخلق الأمل .

انتظر ردها على تعليقه فلم ترد .. دخل على صفحتها لم يجدها متصلة .

أحس بالجوع .. تناول الطعام شارد الذهن وبعد أن تناول مـــا سيد رمقه أسرع إلى جهازه وسط ذهول وحيرة أمه وأختيه .

Asmaa Mahfouz

لو أهلينا يسيبونا شوية

هنعمل ثورة أجدع من ثورة تونس

الخوف متورث من جيل لجيل

والنظام الفاسد هو المستفيد الوحيد

إحنا أصلا مستقبلنا ضاع

أهالينا خيفة على إيه بقى

19 يناير في الساعة 25 : 5 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (6) معجبون بهذا .

Mostafa El-shenawy طول ما كل واحد بيقول أنا مالي أنـــا عندي عيال أنا مالي أنا وراي مذاكرة – أنا مالي أنا مالي – عمر ما الظالم هيمشي .

أحس أن أمه إذا عرفت ما ينوي الإقدام عليه فلن تسامحه أبداً " يكفي ما سببته لها من آلام لن تنساه طوال حياتها "

فكّر في خاله خيري .. " هو الوحيد الذي يمكن أن يقف بجانبي ، ويدافع عني أمام أمي .. ويحسم ترددي "

***

١٧

ضغط على زر الجرس .

– من أنت ؟

– أنا زياد .. افتحي يا فاطمة .

– السلام عليكم .

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. أهلاً يا زياد .. تفضل بالدخول .

– شكراً يا فاطمة .. أقصد جزاك الله خيراً يا فاطمة .. لقد نسيت اعذريني .

قال زياد هذا هو يضحك .

جاء صوت الحاجة زينب من بعيد :

– من يا فاطمة ؟

– زياد .. يا أمي .

– ادخليه حجرة الجلوس .

قال زياد مداعباً :

– كيف يتركونك تفتحين الباب ؟ .. ألا تخافين ؟

– أنا لست صغيرة .. أنا أكبر من أختك شيماء .. أين هي لماذا لم تأت معك ؟

– هي في البيت جالسة أمام التليفزيون .. وأين خالي ؟

– غير موجود .

جاءت الحاجة زينب بعدما لبست إسدالها :

– أهلاً يا زياد .. كيف حالك ؟

– الحمد لله .

التفتت الحاجة زينب ناحية فاطمة وقالت لها معنفة :

– ألم أقل لك ألف مرة ألا تفتحي الباب أبداً ؟

قالت فاطمة مستعطفة :

– أنا عرفت مَن الطارق قبل أن أفتح .

– ولماذا تحرصين على فتح الباب أصلاً ؟

نظرت الحاجة زينب إلى زياد وقالت له مرحبة :

– معذرة يا زياد يا ابني .. أنت تعرف الظروف .. المهم كيف حال والدتك وأختيك ؟

– الحمد لله .. الحمد لله .. أين خالي ؟

– خرج بعد أذان العصر .. ولا أدري إلى أين ذهب .

– وأين الأولاد ؟

– محمد يحفظ قرآن في الجامع ، وأحمد يلعب كرة مع أصحابه ، وخالد نام بعد صلاة العصر ، وسهام ...

دخل شاب في الخامسة والعشرين من عمره يفرك عينيه .
قال زياد وهو يمد يده لمصافحته :
– أنا آسف أني أيقظتك من النوم .
– لا عليك .. وهل يستطيع أحد أن ينـــام في هـــذا البيـــت ؟ ..كيف حالك يا زياد؟.. منذ العيد الكبير لم أرك .
– الحمد لله يا خالد .. الحمد لله .
قالت الحاجة زينب وهي تنصرف :
– بإذنك يا زياد يا ابني .. الأكل على النار .. البيت بيتك .
بعد انصراف الحاجة قام زياد وجلس بجوار خالد وقال له هامساً:
– ما هي آخر الأخبار ؟
– بالنسبة لماذا ؟
– ماذا يجري في البلد هذه الأيام ؟
قال خالد وهو يبتسم :
– ماذا جرى لك يا زياد ؟ يعتقلك أمن الدولة منذ أســـبوع ، واليوم تسأل عن أخبار البلد !! هل انضممت إلى جماعة ٦ أبريل أم أصبحت من المدونين ؟
– موضوع أمن الدولة هذا كشف لي أموراً كثيرة كانت خافية عنيِّ .. المهم دعك مني أريد أن أعرف ماذا تنوون أن تفعلوا ؟
رغم أن خالد يعرف زياداً جيداً ويثق فيه جـــداً إلا أن الـــشك ساوره فبدأ يأخذ حذره .

– ماذا في أيدنا أن نفعل ؟ .. العمل عمل ربنا .

– هل ستسكتون على تزوير الانتخابات والتوريث وقـرارات لجنة السياسات ؟

تأكد شك خالد في زياد فقال بلا مبالاة :

– الحمد لله يا زياد مبارك أفضل من غـيره .. حريـة الـرأي مكفولة لكل الناس .. الجرائد والبرامج التليفزيونية تقـول مـا تشاء.. والمظاهرات تحميها الشرطة .

دهش زياد مما يسمع " إذا كان هذا رأي شباب الإخوان فماذا يكون رأي شيوخهم ؟!! "

– وما رأيك في المدونات التي تدعو للترول يوم ٢٥ يناير ؟

– هذا شباب مراهق سياسيّاً .. ومن يترل منهم لن يزيد عددهم عن مائتي شخص كسائر المظاهرات السابقة .. لا يغرنك أعـداد المشاهدين لصفحة " كلنا خالد سعيد " وعدد التعليقات عليها .. هذه تسالي شباب ، وفي أحسن تقدير مجرد تنفيس قولي عن مشاعر الإحباط لكن أبداً لن يتحول إلى فعل .

– ماذا لو صدقوا ونزلوا يوم ٢٥ يناير ؟

– حتى لو نزل عشرة آلاف.. فهؤلاء لا يساوون شـيئاً أمـام مليون ومائتي ألف جندي أمن مركزي.

***

١٨

عاد زيادَ إلى بيته أكثر حيرة مما ذهب .. أخرج جهازِه من مخبئه وفتحه .

دخل على صفحة كلنا خالد سعيد ليعرف كم وصـــل عـــدد المتصفحين لهذه الصفحة والمشاركين فيها .

كلنا خالد سعيد

14 يناير ٢٠١١

" يوم ٢٥ يناير، هو عيد الشرطة يوم أجازة رسمية. لـــو نزلنـــا ١٠٠ ألف واحد في القاهرة محدش هيقف قصادنا..يا ترى نقدر؟"

4.518 معجبون بهذا

Magdy Gomaa أكيد نازل اعيد الثورة لنطهرها من الـــذئب الذي كل المصريين

16 يناير في 1:41٠ صباحاً

Eslam Adel انا مكنتش مشارك فى الصفحه الايام دى بـــس الكلام كان منتشر كتير جدا فى الشارع وكان كل الناس عارفه ومحدش كان خايف وهو بيتكلم انشاء الله هنكمل .

16 يناير في 06:28 صباحاً • أعجبني •

Hala Mahmoud واللهي وانا بقرا كمية التعليقات دي كلها حسيت اد ايه انا فخووورة بشباب مصر ربنا يحميكو

16 يناير في 01:48 مساءً • أعجبني •

سمع طرقاً على باب حجرته وصوت أمه تستأذنه في الدخول

– تفضلي .. يا أمي .

– يا ابني .. متى تخرج من السجن الذي تحبس نفسك فيه ؟

– لا تشغلي بالك بي يا أمي .. أنا سعيد بهذا .

– منذ موضوع أمن الدولة وحالك تغيير .. كانت ضحكاتك ومداعباتك تملأ البيت في الساعات القليلة التي كنت تقضيها معنا .. والآن لا تخرج مع أصدقائك ، ولا حتى تجلس معنا .. يا ابني لابد أن تخرج من الحالة التي أنت فيها .. وزنك نقص إلى النصف .. وشحب وجهك .. وعيناك دائماً حمراوان ذابلتان .. ماذا حدث ليتغير حالك هكذا ؟ .. أنت قلت لي : أنهم عاملوك معاملة حسنة .. فلماذا هذا الاكتئاب إذن ؟

– يا أمي .. اطمئني .. مرحلة وستمر إن شاء الله .. هل كنت تريدين شيئاً ؟

– كنت أريد أن اطمئن عليك وأخبرك أن واحداً يريد أن يخطب أختك أسماء .

– ألا ينتظر حتى يأتي أبي من السفر ؟

– نجلس معه أولاً وإذا وجدنا أنه شاب محترم وظروفه المادية مناسبة نطلب منه الانتظار حتى يأتي أبوك وإذا لم يكن مناسباً ننهي الموضوع .

– الأحوال غير مناسبة الآن .. فلينتظر ...

قاطعته أمه متعجبة :

– ما تلك الأحوال غير المناسبة ؟ أحوالك أنت ؟!

– لا .. لا .. أحوال البلد .

– أحوال البلد ! أحوال البلد ما لها ؟ أحوال البلد عادية جداً .. البلد طول عمرها على هذه الحال لا جديد فيها .. يا ابني أسماء لم تعد صغيرة أنسيت أنها أكبر منك بتسع سنوات كاملة ..

– افعلي ما تشائين يا أمي .. أنا موافق .

– هل أقل له يأتي ليقابلك ؟

– نعم .

– متى ؟

– ما الوقت الذي يناسبك ؟

– أي وقت .. أي وقت

– يوم الجمعة مناسب ؟

– بعد غد ؟!

– نعم .. ألا يناسبك ؟

– يناسبني .. يناسبني .

***

١٩

في فيلا رقم ٢١٢ المنحوتة في الصخر والمؤسسة على شعاب البحر الأحمر المرجانية على حافة البحر وتحت أشعة شمس الشتاء الدافئة جلس رجلان في أرذل العمر بين حمام السباحة الأسطوري ومياه البحر التي تجري من تحتهما .

الأول يحمل وجه أبي الهول غير أنه متغضن على جسد الخديو توفيق غير أنه منهوك ، أما الأخر فيحمل وجه مومياء قديمة سمراء مشدودة الجلد غائرة العينان على جسد ضامر نحيل .

قال الأول وهو ينظر إلى مياه البحر الصافية والشعب المرجانية البديعة التي تبدو هي والأسماك الصغيرة الملونة من خلال أمواج البحر الهادئة ، ونَسَمَات الصَّباح المتهادية التي يداعب بها الوجوه:

– العجيب في هذا المكان يا حسين أن المناظر فيه تتغير كل ساعة.

قال حسين وقد اعتدل في جلسته وهو ينظر إليه :

– يا فندم هذا المكان ليس له مثيل في العالم .

قال المضيِّف وقد مال برأسه ناحية حمام السباحة :

– ما يبهرني حقاً هذا الحمَّام .. رغم كثرة أسفاري فلم أشاهد له نظيراً .

قال حسين وقد تهلل وجهه بالبشر ، وعمَّه إحساس بالرضا :

– هذا من فضل خيرك علينا ، يا فندم ، هذا شيء لا يذكر بجانب ...

قاطعه وقد استدار بالكلية ناحية الحمَّام :

– قل لي ، حقاً ، كيف صنعت هذا الحمام ؟

قال حسين بفخر مغلف بالمزاح :

– إن السوفييت الذين بنوا السد العالي لا يستطيعون أن يبنوا مثله ؛ لذا استعانت شركتي بالخبرة الأمريكية وأسندنا المشروع لشركة في فلوريدا بوصفها أفضل الشركات التخصصية في إنشاء حمامات سباحة في العالم وقد استخدمت هذه الشركة معدات تكسير كبيرة بسبب وعورة الأرض في هذا الموقع المميز ولقد واجهت صعوبات كبيرة في التنفيذ احتاجت إلى حلول هندسية مبتكرة .. لا أريد أن أطيل على سيادتك بذكر تفاصيل الإنشاء .

– تكلم ، يا حسين ، أنا أحب حديثك ، وأرتاح للكلام معك .. تكلم فليس ورائي شيء أعمله .. البركة في جمال ولجنة سياسات الحزب .

قال حسين وقد انبسطت أساريره :

- اضطرت الشركة الأمريكية إلى اللجوء إلى إنشاء قميص خرساني في ظل استحالة بناء غرفة ماكينات اعتيادية لحمام السباحة، لأن هذه الماكينات عادة تكون مدفونة بجوار حمام السباحة، فضلاً عن قرب الأرض من البحر.. لقد بذلت الشركة جهداً كبيراً لتجهيز هذا الحمام بأعلى مواصفات عالمية لحمام سباحة خاص فجاء كما ترى ، سيادتك ، بمنحنيات حرة بمقياس حوالي ١٦ م يعمل بنظام المسح السطحي وبعمق ثابت حوالي ١,٥م منشأ بالكامل داخل جدار صخري بحري بالخرسانة المسلحة، بعد تشكيل الفراغ بمعدات التكسير والحفر بمعرفة الشركة المالكة.

- وموضوع الإضاءة شيء بديع حقاً .

الإضاءة ليست بديعة فحسب بل الأهم أنها مزودة بأعلى درجات الحماية ضد الصعق لسلامة المستخدمين شاملة ربط شبكات التسليم بنظام الأرضي ومفاتيح الحماية عالية الحساسية، والإضاءة بدون تيار كهربائي عن طريق الألياف الضوئية بطول محيط حمام السباحة متغيرة الألوان، تعمل بـ Remote Control، كما تعلم سيادتك ، هذا بالإضافة نظام الفلترة فائق الكفاءة لتنقية المياه وتقليبها بوحدة مدمجة مدفونة بالجدران من إنتاج شركتنا لاستحالة تنفيذ حجرة ماكينات نمطية بمعدات تقليدية بالموقع البحري . وكما ترى سيادتك النافورة العائمة التي تعمل على

مخارج المياه ووحدة السباحة ضـــد التيـــار و Shower Massage العملاق الذي يعمل بتحكم automatic وسماعات الموسيقى التي تعمل تحت المياه والتشكيلات اللونية من السيراميك الألمان...

قال المضيِّف مازحاً :

– كفى .. كفي ، يا حسين ، أنا أعرف كل هـــذا ، أم أنـــك انتهزت الفرصة لتمنَّ عليَّ .

– العفو .. العفو ، يا فندم ، أنا لم أصنع شيئاً .. كل هذا مـــن خيرك .. أنا وكل ما أملك ملك سيادتك .. ثم إني أخـــذت مـــن سيادتك نصف مليون جنيه ثمناً لهذه الفيلا والعقـــد الـــذي مـــع سيادتك يثبت ذلك .

ضحك المضيِّف حتى بانت نواجذه ثم قال وهو ما يزال مبتسماً :

– صحيح .. صحيح .. أنا وأولادي عنـــدنا عقـــود ملكيـــة للفيلات الثلاث مثبت فيها هذا المبلغ .. لكن هل أنت متأكد أن الفيلات الثلاث تتوفر لها الحماية الكافية؟

– يا فندم كن مطمئناً تماماً لقد أنشأت شركتي أسواراً حـــول الفيلات الثلاث تعزلها عن باقي فيلات المنتجـــع ، وكمـــا تعلـــم سيادتك أن لها طريقاً خاصاً ومهبطـــاً للطـــائرات، وأن زجـــاج الفيلات الثلاث مضاد للرصاص نظراً لمواجهتها البحر مباشرة .

قال المضيف وقد لاحظ لهجة المنِّ تبدو واضحة في كلام حسين :

– ألا تلاحظ أن ليس هناك في هذا المكان غيرك منتجعك ذي الفيلات ١٩ ؟

– يا فندم هذا الموقع يدخل في حزام المناطق التي لا يجوز الاقتراب منها وفق قانون البيئة .

قال المضيِّف مازحاً :

– وكيف استخرجت تصاريح البناء في هذا المكان ؟!

قال حسين بخبث مغلف بمزاح :

– ولعلم سيادتك إن أعمال بناء فيلا سيادتك لم يقتصر على أعمال الحفر والبناء في محمية طبيعية محرم البناء عليها فقط بل لقد قمنا بردم جزء من شاطئ البحر أيضاً وكانت كل هذه العمليات تتم في حضور محافظ جنوب سيناء بنفسه !!

أدرك المضيِّف ما يرمي إليه ضيفه فسكت برهة وأخذ يتأمل منظر البحر الخلاب ثم قال :

– قال لي موشى ديان يوماً أنه كان يتمنى أن يعيش ما بقي له من عمر في شرم الشيخ.

– لكن ضربتك الجوية ، يا فندم ، اقتلعته من هنا وألقت به خلف الحدود حيث مات مشيعاً بلعنات قومه بعد أن أضاع أحلامهم في أرض الفيروز .

– ليس إلى هذا الحد فلا تنسى أنه هو الذي حقق لهم ما لم يكونوا يحلمون به في يونيو ٦٧ .

سكت المضيِّف بعد أن قال ذلك فسكت حسين .. مرت بضع دقائق شرب فيها حسين كوب عصير برتقال طازج واستمتع بمنظر البحر وأشعة الشمس ورضا مولاه ، لكنه فجيء بصديقه يقول له:

– قل لي ، يا حسين ، لقد كثر الكلام حول موضوع تصدير الغاز لإسرائيل وتدني سعره عن الأسعار العالمية .. فما الموضوع بالضبط ؟

– هذا كلام فارغ ، يافندم ، سيادتك تعلم جيداً أن توصيل الغاز لإسرائيل موجود أصلاً في اتفاقية كامب ديفيد التي تنص على وجوب تصدير مصر البترول لإسرائيل .

– أنا أعلم هذا .. أذكر أنه في سنة ١٩٩١ تقريباً قابلت رابين وقال لي : يا سيادة الرئيس نحن نريد بترولاً منكم فقلت له : ليس عندنا فائض في البترول ، وأنا أعدك عندما نستخرج الغاز سأعطيك غازاً بدلاً من البترول ، وحدثت اكتشافات الغاز ، وطلب الإسرائيليون الغاز الذي وعدتهم به فطلبت من رئيس الوزراء ووزير البترول أن يشكلوا لجنة لدراسة تصدير الغاز لإسرائيل ، وبالفعل صدرنا الغاز لإسرائيل وكان سعر المتر ٢,٥ دولار .

– وسعادتك طلبت بعد ذلك تعديل هذا السعر ، وأصبحنا نبيع الغاز لإسرائيل بـ ٣,٥ دولار للمتر وهذا السعر أعلى من السعر الذي نبيع به الغاز للأردن والذي يبلغ ٢,٥ دولار للمتر .

– لكن صحف المعارضة تقول : إن روسيا تصدر الغاز لألمانيا بسعر ٨ دولارات للمتر وهذا هو السعر العالمي .

– هؤلاء أناس لا يفهمون شيئاً ، ألا يعلمون أن روسيا هي التي تكفلت بجميع مصاريف إقامة البنية الأساسية والأنابيب لهذا المشروع وأنفقت في سبيل ذلك العديد من المليارات لذا تعمل على استرداد هذه المليارات التي أنفقتها برفع سعر الغاز ، أما إسرائيل فهي التي تكفلت بجميع مصاريف إقامة البنية الأساسية ومد الأنابيب .

– لكن روسيا أنفقت عدة مليارات مرة واحدة في إنشاء البنية الأساسية ، وتجني في مقابل ذلك سنويّاً أضعاف أضعاف ما أنفقت، أما إسرائيل فما أنفقته في إقامة البنية الأساسية قد عوضته في عام أو عامين فقط ، ولا تنسى أننا أعفينا شركة الغاز الإسرائيلية المشرفة على المشروع من الضرائب لمدة ثلاث سنوات ، كما أننا وضعنا كل إمكانياتنا في خدمتها .

– يا فندم نحن قد عقدنا اتفاقية QIZ مع إسرائيل وتدر لنا هذه الاتفاقية ٥ مليارات دولار في السنة ، وإسرائيل لم تكن لتوافق على هذه الاتفاقية ولو لم نصدر لها الغاز كل هذا كما تعلم سيادتك كان بالاتفاق مع أمريكا .

– واتفاقية QIZ هذه تعتبرها المعارضة تقليص للدور المصري المساند للقضية الفلسطينية وتؤدي إلى التطبيع مع إسرائيل وستفتح

الطريق لإسرائيل لاختراق الاقتصاد المصري والصناعة المصرية وإنها إحياء لمبادرة شمعون بيريز لإقامة مشروع السوق الشرق أوسطية كبديل للجامعة العربية .

– يا فندم هذا كلام أناس جاهلين حاقدين لا تفهم شيئاً في السياسة ولا في الاقتصاد .. العالم كله اليوم ...

قاطعه مازحاً :

– هؤلاء الناس يقولون إن موضوع الغاز هذا يدر عليك مبالغ كبيرة جداً .

قال حسين في خبث وقد رسم على وجهه علامات الغضب :

– الناس لا عمل لها إلا الكلام وأن نصيبي من هذا المشروع أقل من نصيب ابنيٍّ سيادتك فيه رغم المصاريف الكثيرة التي أنفقتها على المشروع .

قال المضيِّف وقد أدرك ما في كلام حسين من تلميحات :

– هل غضبت ، يا حسين ؟!! لقد كنت أمزح معك .

***

٢٠

أصرت أمه أن يرتدي بدلته السوداء ؛ حتى يبدو رجلاً كامل الرجولة في هذه المناسبة السعيدة .

– يا أمي الأمر لا يستحق هذا الاهتمام كله .

– متى تلبس بدلك التي عندك إذا لم تلبسها في مثل هذه المناسبات ؟

وأمام إصرار أمه ورجاء أسماء وافق ، وإن كان غير مقتنع .

في الساعة السابعة بالضبط حضر عادل حاملاً علبة حلوى ملفوفة بشكل أنيق .

ما كاد عادل يخطو عدة خطوات داخل الشقة حتى اضطرب قلبه .. لم ير مثل هذه الشقق إلا في الأفلام والمسلسلات .. ديكورات راقية .. أثاث وثير .. سجاد تغوص فيه الأقدام .. نجف يأخذ الأبصار .. البدلة التي يلبسها زياد والفستان الذي ترتديه أمه يساويان مرتبه في عام كامل .. جف الكلام في حلقه لا يدري ماذا يقول .

جلس على حافة الكرسي الضخم فقد خشي إن غاص فيه لا يرى له أثر .

قالت سلوى مرحبة :
- أهلاً وسهلاً .. يا أستاذ عادل .
قال وهو مطأطئ الرأس :
- أهلاً بسيادتك يا فندم ..
عندما وجد زياد صمته قد طال قال :
- شرفتنا .
- الشرف لنا يا أستاذ زياد .
عندما طال الصمت نظر زياد لأمه التي أسرعت قائلة :
- خيراً إن شاء الله يا أستاذ عادل .
ارتبك عادل وبدأ جبينه يتفصد عرقاً رغم برودة الجو :
- الحقيقة .. الحقيقة أنه يشرفني ...

قطع دخول أسماء تحمل أكواب العصير كلام عادل الذي ما كاد يراها في فستانها الباهر حتى شرد ذهنه .

طلبت الأم من أسماء أن تجلس بجوارها بعد أن وضعت أكـواب العصير على المنضدة .

أحس عادل أن الموضوع الذي جاء من أجلـه قـد حـسمت نتيجته، وأن عليه أن يتماسك فإن كان موضوعه سيرفض فلـيس أقل من أن يظهر بمظهر حسن .. أسند ظهره إلى الكرسي وقـال بثقة مصطنعة وبسرعة زائدة :

– أنا خريج كلية التجارة جامعة القاهرة سنة ٢٠٠١، وكنت من أوائل الكلية.. وأعمل محاسباً في شركة " Modern " للأثاث المكتبي .

زياد : أين توجد هذه الشركة ؟

– في شارع الطيران مدينة نصر .

قالت الأم : ما هو راتبك الشهري ؟

– راتبي حوالي ثمانمائة جنيه .

الأم : هل لك دخل آخر ؟

– أنا حاصل على شهادة TOEFL وشهادة ICDL ، وعندما أحصل على الماجستير الذي أوشكت أن أنتهي منه سألتحق بعمل أفضل وبمرتب أكبر إن لم يكن في مصر ففي أي بلد عربي .

زياد : أين تسكن ؟

– في شارع أحمد زكي .

زياد : دار السلام ؟

قال وهو يتجنب النظر إلى العيون المصوبة نحوه :

– نعم ..

قالت الأم بفتور :

– هل عندك شقة ؟

– إن شاء الله بعد كتابة الكتاب سأقدم في مشروعات إسكان الشباب .

قالت الأم وقد سيطرت عليها الرغبة في إنهاء المقابلة :

– وهل تضمن الحصول على إحدى هذه الوحدات السكنية ؟ .. أنا أعلم أن عشرات الآلف يتقدمون للحصول على هذه الوحدات .

رد وقد عادوه اليأس :

– أتمنى أن تصيبني القرعة التي يجرونها .. وإلا فسأضطر أن أسكن في شقة إيجار جديد .

قال زياد مشفقاً بعدما أحس حرج موقف عادل :

– وهل معك مقدم إيجار الشقة ؟

– أنا معي حوالي ١٤ ألف جنيه .. ويمكن أن أعمل جمعية ووالدي يساعدني...

قالت الأم :

– وماذا يعمل والدك ؟

– أبي يملك سيارة نصف نقل يعمل عليها .

– وهل عندك إخوة ؟

– نعم .. أربعة غيري .. ثلاث بنات وولد صغير .

قال زياد وقد استبد به الأسى :

– هل ستنزل يوم ٢٥ ؟

فاجأ السؤال الجميع ، ولما كان السؤال موجهاً لعادل فقد قال دون تفكير :

– أنزل إلي أين ؟

ثم استدرك قائلاً :

– آه .. آه .. ٢٥ يناير .. الحقيقة أنه ليس لدي وقـــت كـــل دقيقة أحاول أن استغلها في الماجستير .

بعدما ودَّع عادل ورأى دموع أخته كانت رابطة عنقـــه قـــد تحولت إلى مشنقة وعيونه إلى بركان على وشك الانفجار .. تخلص من رابطة عنقه بسرعة ورمى بنفسه على سريره وانفجر في البكاء.

***

لم يستطع النوم ومشاهدة أكثر من ألف قناة تليفزيونية وجميع ألعاب Computer أن تصرفه عن Facebook أكثر من يوم واحد وكما يفيق السكران من وهمه الزائف بعد انتهاء تأثير المخدر وجد زياد نفسه مرة ثانية وجهاً لوجه مع صورة خالد سعيد .

كلنا خالد سعيد

22 يناير 2011

نكتة الحكام العرب عاملين اجتماع وبيفكروا يفتحوا صفحة على الفيسبوك للتضامن عنوانها : كلنا زين العابدين بن على

أشخاص (2.133) معجبون بهذا.

Mohammed El-diasty

اغضب

ولا تُسمع أحد

أ سمع أنين الأرض حين تضم في أحشائها عطر الجسد

أ سمع ضميرك حين يطويك الظلام .. وكل شيء في الجوانح قد همد

والنائمون على العروش فحيح طاغوت تجبّر .. واستبد

لم يبق غير الموت

إما أن تموت فداء أرضك

أو تُباع لأي وغد

مت في ثراها

إن للأوطان سراً ليس يعرفه أحد

22 يناير،2011 في 10:20 صباحاً • أعجبني •

عاوده الحزن والضجر ، وسيطرت عليه الحيرة والقلق .. اتصل برنا وطلب لقاءها في النادي .

أمضى معها ما بقي من ساعات النهار .. شارد الذهن .. تحدثه ويكتفي بهز رأسه .. تمازحه فيكتفي بالابتسام ..

عاد إلى البيت في المساء كما خرج منه في الظهيرة ، وبعد أن لبى نداء معدته عاد إلى جهازه .

Manal Zahran من ضاق ذرعا بالظلم والفساد والقهر فليترل يوم ٢٥ يناير من سمع سبا او تطاولا من ضابط شرطة او امين شرطة فليترل يوم ٢٥ يناير من طالته البطالة والفقر وضاع حقه في هذا البلد فليترل يوم ٢٥ يناير من عز عليه قوت يومه ولم يجد خبزا يطعم عياله فليترل يو...م ٢٥ يناير من زورت ارادته في الانتخابات فليترل... يوم ٢٥ يناير من شعر بظلم وطاله قهر النظام وفساده فليترل يوم ٢٥ يناير من احيل لمعاش مبكر وقطع عيشه فليترل يوم ٢٥ يناير من شرب ماء ملوثا او من لم يجد اصلا

الماء في بلد النيل فليترل يوم ٢٥ يناير من اكل طعامـا مـسرطنا فليترل يوم ٢٥ يناير من .... ومن مرض او مرضت زوجتة او بنتة او ابنة او ابوة او امة ولم يستطيع ان يعالجها .... ومن .... ومن .... والقائمة تطول لا تنسوا عبد الحميـد شتا ولا تنسوا خالد سعيد ولا تنسوا سيد بلال ولا تنسوا قبـل ذلك أنفسكم وحقكم في حياة حرة كريمة .... إنها الفرصة الأخيرة بالله عليكم اغضبوا وثوروا ولا تحرقوا انفسكم بل احرقوا من ظلمكم واستعبدكم واستغباكم لمدة ٣٠ سـنة ولا تركنـوا للتخدير والحقن المسكنة والله لن يصمدوا شهرا واحـدا مثلمـا صمد الديكتاتور في تونس اسبوعين او ثلاثة على الاكثـر مـن غضب المصريين ستحرقهم جميعا بالله عليكم لا تخذلوا انفـسكم ....ثورة ثورة حتى النصر ..... ثورة في كل شوارع مصر

22 يناير، 2011 في 6:28 مساءً • أعجبني •

بعد أن قرأ كثيراً من كتابات المدونين أخلد إلى النوم .. رأى في نومه كوابيس مزعجة رأى .. دماء وأشلاء .. رأى الغول والعنقاء .. رأى الأموات والأشباح .. رأى صور التعذيب مـن نـيرون ودقلديانوس إلى هتلر وحمزة البسيوني .

***

٢٤

استيقظ في العاشرة صباحاً مهدود القوى .. محطم الرأس .. مكدر المزاج .. مكدود النفس .

لا يدري لماذا اشتاق إليها .. يريد أن يكلمها .. أن تدب فيه القوة والصمود .. أن تقتل شكّه .

دخل على صفحتها ، وانتظر أكثر من ثلاث ساعات يتردد بين شرفة منزله ونافذة صفحتها لعلها تتصل ، وبعدما يأس من اتصالها بحث عن تعليقاتها في الصفحات الأخرى التي تدخل عليها .. يبحث عن تعليقاتها الحديثة ويعيد قراءة تعليقاتها قديمة .

Asmaa Mahfouz

مش التظاهر اللي بيعرض البنت للمخاطر

عدم التظاهر هو اللي بيعرض البنت للمخاطر

عدم التظاهر يبقى النظام الفاسد هو عليه

يعني تحرش في الشارع يعني ظلم في كل مكان يعني أي مصيبة ممكن تحصل ودمي ملوش دية التظاهر يعني الدفاع عن حقي كإنسانة .

عدم التظاهر يعني موافقتي رسميا على تعاملي كعبدة ليس لها حقوق .

سيبونا ندافع عن حقنا وبلاش تبقوا شركاء في موت الشعب المصري .

15 يناير في الساعة 12:32 صباحاً أعجبني ، تعليق

أشخاص (31) معجبون بهذا

Siham Spartacus امرأة كشف اليهود عن سوأتها، وهي امرأةٌ نكرة، لا نعرف لها اسماً ولا رقماً ولا نسباً، ولكنها مسلمة، فنادت: وامعتصماه! فجرد المعتصم الجيش العرمرم ليرد عرض امرأةٍ مسلمة، وفتح عمورية .

فهل ترضو يا شباب ان أخواتكم تتهان في المظاهرات من رجال أمن النظام ويتحرش بها بلطجيته ؟

Said saber يا ست مين بيتحرش بمين ويعري مين دا كان زمان أيام المعتصم معرفش سنة كام دلوقت البنات هي اللي نازلة من بيتها متعرية جاهزة وكمان هي اللي بتتحرش بالشباب فكّوكو من الكلام ده وشفولكو حاجة كويسة تعملوها بدل موضوع التحرش ده .

غلى الدم في عروقه وتمنى أن يرى سيد صابر هذا ويعلمه الأدب الذي ينقصه ، لكنه اكتفى بكتابة هذا تعليق :

Tariq ibn Ziyad لو كنت راجل بجد يا سيد ماكنتش قلـــت الكلام كده على بنات مصر اللي بيحاولو يدافعو عن رجالة كتير سلب منهم النظام رجولتهم .

وبعد أن كتب هذا التعليق عاد يبحث عن تعليقات أخرى لها .

Asmaa Mahfouz

يوم ٢٥ يناير

بجد هتفرق في كل واحد فينا أنه يترل

كل واحد بينضم علينا بيقوينا أكتر

وكل واحد مترلش هيبقى بيجني علينا وهيبقى شريك في النتيجة

محدش يقول مجدتش عليا أني مترلش ومحدش يقول دوري أقوى من البيت

وكل واحد يقول لأبوه وأمه في البيت ده بداية استعادة بدايـــة استعادة حقنا

ومستقبلنا من غير حقنا هيبقى مظلم

ولو خايفيين علينا بجد يسيبونا نترل وربنا معانا وهيحمينا إن شاء الله

18 يناير في الساعة 39 : 10 أعجبني ، تعليق

أشخاص (9) معجبون بهذا

Asmaa Mahfouz اللـــــي عـــــايزة أقولـــــه يعـــــني أرجووووووووووووووكم خلونا أقويا بوجودنا كلنا!!!!!!!!! مع بعض

Siham Spartacus اطمني يا أسماء لسه فيه رجالة أحرار كتير في مصر وهتشوفي يوم ٢٥ هيعمولو ايه وهفكرك .

Asmaa Mahfouz

الصحة أعلنت وفاة مواطن الاسكندرية الذي حرق نفسه اليوم ياريت كلنا نتجه على ميدان التحرير دلوقتي لو عندنا دم

18 يناير في الساعة 03:24 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (8) معجبون بهذا

Shady Negm-ShadowMan إنا لله وإنا إليه راجعون

Siham Spartacus دمه هيبقى في رقبتنا لو سكتنا .

تذكر المصباح المعلق في نافذة الحجز ورغبته في الإمساك بسلكه العاري .. حمد الله أنه لم يفعل ذلك .

اغتسل ولبس ملابس جديدة ورجل شعره .. صلى الظهر ودعا الله كثيراً في سجوده أن يوفقه إلى ما يحب ويرضى ويثبته بـــالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يصلح أحوال البلاد والعباد ، وأن يهلك أعداء الله وأعداء الوطن .

هدأت نفسه واستقر عقله واطمأن قلبه .

عرض على أمه وأختيه الخروج في نزهة فرحبن جميعاً على الفور.

***

٢٥

صباح الاثنين ٢٤ يناير رجل قصير القامة خفيف الشعر يرتدي بدلة سوداء على مشارف الخمسين من عمره يدخل مكتبه .. تحدث مع زملائه .. كلّف مجموعة من العاملين معه بتحديد أسماء ممثلي الجماعات الشبابية المختلفة .. كفاية ، ٦أبريل، خالد سعيد .. وطلب إعداد أحد الاستوديوهات على طريقة "townHal" بحيث يجلس الحضور في دائرة وتجلس الشخصيات المتحدثة في وسط الدائرة على مستوى واحد .

صعد إلى الطابق التاسع، حيث مكتب المسئول الأول في هذا المبنى الحكومي الكبير ، عندما رآه الوزير بادره بهذا السؤال قبل أن يسمح له بالجلوس :

– ما هي آخر الأخبار ؟

– مصادر المعلومات المختلفة تؤكد أن مظاهرات الغد غير المظاهرات السابقة ، وأن عدد المشاركين فيها سيكون كبيراً ، وستغطي الميادين الكبرى في المحافظات .. كل معارضي النظام سيشاركون فيها ، حتى أعضاء الحزب الوطني الذين تخلى عنهم الحزب في الانتخابات الأخيرة .

– وماذا ترى يا عبده ؟

– أنا أرى ، يا فندم ، أن ما يصلح لهذه المرحلة هـــو أن يفـــتح المجال لهؤلاء الشباب، لكي يظهروا علـــى شاشـــة التليفزيـــون، ليتحدثوا عن ملاحظاتهم وانتقاداتهم، وأن يشارك معهم أربعـــة أو خمسة من عقلاء الأمة .

أشار الوزير لمرءوسه بالجلوس ، وأخذ يفكـــر وهـــو يتحـــرك بكرسيه يميناً ويساراً ، وفجأة توقف عن الحركة وقال :

– فكرة جيدة ، يا عبده ، ويمكن أن يكون هؤلاء الأربعة الذين يلتقون الشباب من وزراء الحكومة الذين لهم شعبية، أو قدرة على الحوار مع الشباب مثل : رشيد، وغالى، والمغربي، وأنا شخـــصيًا مستعد أن أجلس معهم .

– أنا أقترح ، يا فندم ، أن يلتقي هؤلاء الشباب مـــزيج مـــن عقلاء الأمة وبعض الوزراء الذين اقترحت سيادتك أسماءهم .

– لا بأس ..لكن يجب أولاً عرض الأمر على مكتب الحـــزب، ولحسن الحظ أنه مجتمع الآن في مقره.

اعتدل الوزير في جلسته وتناول التليفون .. واتصل برقم مميز.

- **Hello** .. الحمد لله يا فندم .. ستكون بخير إن شـــاء الله .. لا تقلق يا فندم .. أريد أن أعرض على سيادتك أمراً قد يـــساهم في حل المشكلة أو على الأقل يخفف من حدتها .. اقترح ، يا فندم ، أن يلتقي بعض الوزراء ذوي الشعبية وبعض النخب الذين يجمعون

بين ولائهم المستتر للنظام والقبول الشعبي مع ممثلين لهؤلاء الشباب في برنامج تلفزيوني حواري .. أنا في انتظار رد سيادتك .

- خيراً ، يا فندم ، ماذا قال لك الأستاذ جمال ؟

- طلب أن يعرض الفكرة على هيئة المكتب .. وسيرد عليَّ.

- أنا أعتقد أن صفوت بيه ، ود.زكريا ، ود.هلال ، د. شهاب يمكن أن يوافقوا لكن المهندس أحمد في اعتقادي أنه...

قاطع الوزير عبده قائلاً :

- ما أهم المطالب التي ستخرج من أجلها هذه المظاهرات ؟

- المطالب ، يا فندم ، كثيرة وأغلبها مطالب مشروعة : حل البرلمان المزور ، إلغاء قانون...

دق جرس التليفون فأسرع الوزير ليرفع السماعة وهو يشير لعبده بالسكوت .

- خيراً ، يا فندم ، .. ممكن أعرف سبب الرفض .. مفهوم .. مفهوم يا فندم ..

- خيراً إن شاء الله .

قال الوزير بامتعاض :

- رفضوا الفكرة .

قال عبده دهشاً :

- لماذا يا فندم ؟

– يقولون إنهم إن جلسوا مع هؤلاء الشباب فكأنهم Give them recognition وهذا يعطيهم حجماً أكبر من حجمهم.

– الحقيقة ، يا فندم ، أن ما فعلوه هذا خطأ كبير .

– إن غداً لناظره قريب .. دع هذه المظاهرات تكشف عن ضآلتها أمام الرأي العام .. والعناصر الموتورة التي تقودها تعرف حجمها الطبيعي في الشارع .

عاد عبده ليبلغ زملاءه بالتوقف عن الاتصال بممثلي جماعات المعارضة ؛ فقد صدرت الأوامر بعدم السماح لهؤلاء الشباب بالظهور في التليفزيون .

جلس عبده إلى مكتبه يتميز من الغيظ .. في صدره هموم كثيرة لا يستطيع أن يصارح بها رؤساءه ، لكنه يمكن أن يصارح بها أوراقه ، وجرياً على عادته أخرج مدونته الخاصة وبدأ يسجل فيها رأيه فيما يجري في اللحظة الراهنة .

" إن الأمور تتجه إلى التعقيد، وأن إدراك القائمين على إدارة الأزمة لحقيقة أبعادها أقلُّ كثيراً من حقيقتها، وأنهم يراهنون على عدة عناصر .

العنصر الأول : الاقتناع بتلك القوة الرادعة والمسيطرة لجهاز الأمن، بقيادة وزير الداخلية ، الذي نقل دائماً الإحساس بالثقة إلى جميع المستويات في الدولة، وعلى رأسها رئيس الدولة نفسه.

العنصر الثاني : الذي راهن عليه مديرو الأزمة، هو التجـــارب السابقة لتلك الجماعات المعارضة، من مظاهرات وإضــــرابات، لم تسفر إلا عن أخبار صحفية وتليفزيونية، وإنشاء جماعات جديدة ، تحمل اسم الحدث ، أو تاريخه، وقد كانت قناعتهم، وهذا ما ظهر من خلال مناقشات الوزير معي أكثر من مرة، أن هـــذه الأزمـــة يمكن أن تكون مناسبة، لكشف هذه الجماعات، ومعرفة قـــوتهم وحجمهم الحقيقيين، لينكشفوا أمام الناس، ويواجهوا أنفسهم.

العنصر الثالث: الذي كان ساكنًا نفوسهم دون أن ينطقوا بـــه، هو ذلك الإحساس، بل تلك القناعة بأنّ المصريين لـــن يثـــوروا، وأنهم بطبيعتهم يرضون بما قسمه الله لهم، بل وصل تقدير البعض، وهم داخل الدائرة الضيقة للحكم، أن قال لي أحـــدهم، منتقـــدًا أسلوب إدارة الدولة، رغم وجوده داخلها في تلك الفترة، قـــال: إنهم يتعاملون مع الشعب باعتباره جثةً هامدةً لن تحـــرك ســـاكناً، وهذا ما أمَّن عليه عدد آخر من القريبين من مركز صنع القـــرار وإدارة الأزمة. "

دق جرس التليفون سارع عبده بالرد :

– أهلاً يا فندم .

قال الوزير وهو يبدي سعادته :

– يبدو أن لبنان هي الأخرى تلعب لصالح النظام المصري .

– كيف يا فندم ؟

– وصلتني أخبار مؤكدة أن الرئيس ميشال سليمان سيكلف غداً نجيب ميقاتي بتشكيل الحكومة وقطعاً ستستحوذ هذه الأخبار على اهتمام وكالات الأنباء العربية والعالمية وستغطي على أخبار مظاهرات الغد .

– تكليف نجيب ميقاتي برئاسة الحكومة كان متوقعاً بعد حصوله في الاستشارات النيابية على ٦٨ صوت مقابل ٦٠ صوت لسعد الدين الحريري الذي سقطت حكومته بعد استقالة ١١ وزيراً منها.

– غداً سيصبح ، لدينا فرصة مناسبة، لكي نضع لبنان الخبر الأول في التغطيّات الإخبارية المختلفة لنا، خاصة أن القنوات العربية المختلفة كالجزيرة، والعربية ستبدأ نشراتها وتفتح هواءها للخبر اللبناني .

***

٢٦

لم يكن يتوقع أن يعود من النزهة سعيداً .

لا يدري ما الذي دفعه للتنزه مع أسرته هـــل هـــي الرغبـــة في الخروج من حالة الحزن التي كانت مسيطرة عليه أم ليتخلص من حالة القلق التي كانت تنتابه أم الرغبة في توديع أســـرته وتـــرك ذكرى جميلة له أم ليرى معالم مصر الخالدة .

تجنب أن يفكر فيما سيفعل في الغد ، لم يفتح جهازه وتركـــه في مخبئه ، وبعد أن صلى العشاء ذهب في سبات عميق ، ولكن القلق لم يشأ أن يتركه يكمل ليله فأيقظه مبكراً .. صلى الفجر ودعـــا طويلاً وبعد أن تناول إفطاراً خفيفاً فتح الجهاز .. وجد رسالة منها بها كلمتان " أنا نازلة " .

أخذ يقرأ أحداث الأيام الأخيرة وتعليقات صاحبته عليها .

Asmaa Mahfouz

التليفون مبطلش رن ومسجات ده غير الإيميلات

انتو مش متخيلين من كل المحافظات والدول ومن كل الفئـــات كله بيقول هشارك ومعايا مجموعة هنترل بيهم

هنترل يوم ٢٥

ده غير الكلام الناس عايزة تتكلم وعايزة اللي يسمعها

الناس عندها كبت بطريقة رهيبة

من امبارح بالليل وانا عمالة آخد تليفونات واسمع شكاوي المصريين

هي الحكومة فين ؟

بجد الناس خلاااص جابت آخرها

19 يناير في الساعة 07:44 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (21) معجبون بها

Siham Spartacus مش قلتلك يا أسماء ولسه كمان .

Asmaa Mahfouz

الله أكبررررررررررر

الناس مكالمتها ابتدت تتغير

من الاول كانوا بيسألوا عن فين المكان

دلوقتي بيقولوا أنهم مجموعة وهيطلعوا بمسيرة من مكان وهيكلموني يشوفونا فين ويضمو علينا

ومحافظات بتعلن عن اماكن تجمعات

21 يناير في الساعة 11:24 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (34) معجبون بهذا

Anas Osama النصر لمصر

Siham Spartacus أنا عن نفسي مجمعة ناس كتير هتترل معايا

Asmaa Mahfouz

نصيحة ١ : من دلوقتي أتحرك وأدعو كل أصحابك ومعارفك متنزلش لوحدك

نصيحة ٢ : نجاحنا أو فشلنا مرهون بعددنا أوعي تكسل أو تقول في كتير غيرك هيشاركوا .

نصيحة ٣ : ممنوع استفزاز الامن معركتنا مش مع العسكري اللي واقف مع الحكومة .

نصيحة ٤ : أوصل في الميعاد مضبوط متتأخرش دقيقة علشان نقدر نكون متجمعين

أشخاص (4) معجبون بهذا

Dody Soouby وياريت يا أسماء الي يعرف يكسب العساكر دول غلالالالالالالالالالابة والله يتكلمو معاهم براحة ونكسبوهم

Siham Spartacus كويس أوي الكلام ده يا دودي

Ahmad Aly Alkholy عربيات الأمن المركزي بتلف في الشوارع .

Asmaa Mahfouz

حاسة أني داخلة على امتحان

احساس إني مذكرتش كويس واني هنسى كل حاجة وان الامتحان هيجي صعب

بجد ٢٥ يناير من أصعب الأيام اللي مرت عليا

ومستنية يجي بققققققققققققى مش قادرة استنى أكتر من كده
ومش هيقدروا يمنعوني أني أنزل الشارع اليوم ده وأشارك
23 يناير الساعة 1;59 مساء
أشخاص (19) معجبون بهذا
Masry Aseel فلنهتف جميعاً الله أكبر لنعبر للنصر كما عبرنا في أكتوبر ٧٣
Ashraf Ibrahim بالراحة على نفسك يا أسمـاء إن شـاء الله هيبقى يوم جميل ومشرف .
Siham Spartacus أنا متفائلة أوي يا أسماء خليهـا علـى الله ومتخفيش .
Asmaa Mahfouz
عاجل جداا :
أول حاجة : أنا نيتي بجد أني اقضي على الفساد والظلم وأجيب حق الناس وكل ده لله علشان ده اللي ربنا ورسوله امرنا بيه
تاني حاجة : أرجوكم بالله عليكم بكره بإذن الله بـأي طريقـة ومهما حصل نفضل مصريين على موقفنا مهما حاولوا يعملو لو بطره باظ ناس كتير هتفقد الامل وهنبقى نهاية البداية
لكن لو اصرينا اننا ننجح بكرة ونفضل صامدين هنبقـى بجـد بداية النهاية .
24 يناير في الساعة 09:24 مساء أعجبني ، تعليق

أشخاص (26) معجبون بهذا

أرجوكم أرجوكم أكدوا على كل اللي تعرفوهم بكره بكـــل التعليمات

وربنا معانا .. ولو جرالي حاجة كملو ومحدش ليه علاقة بيا لحد ما اليوم يعدي أهم حاجة بكرة بجد

Asmaa Mahfouz

صباااااااااااااااااااااااااااح الخيييييير

بحبكـــــــــــــــــــــوو كلكـــــــــــــــــــوووووووووووووووووووووووووو أووووووووووووووووووووووووووووي

وأي حد زعلان مني يفكو بقى وينسى ويسامحني لو غلطـــت في حد في يوم من الأيام النهارده إن شاء الله مش هرجع إلا لما اعمـــل حاجة بجد

أشوفكم هناك بقى سلاااااااام

ميعادنا الساعة 2

25 يناير الساعة 33: 7صباحا

أشخاص (36) معجبون بهذا

أحمد إبراهيم صباح الحرية

Abdurrahman ezz ربنا معانا ومع الحق وربنا يحفظك

Siham Spartacus إن شاء الله هيبقى يوم تاريخي

وهو يرتدي ملابسه كان يعلم أنها مغامرة غير مأمونة العواقب ؛ فأعداد المجاهدين قليلة وجيش التتار جرار .. حمزة البسيوني يعطي تعليماته لاستقبال معتقلين جدد إذا سلموا من سيف الحجــاج .. سياط عزرا وشمعون وفلهالم تلهب ظهره " عبيد لمــن غلــب .. تقبلون أيدي جلاديكم .. أسود علينا وعلى حكامكم نعامة ... ".

– " لن أستطيع أن أكلمها ثانية إذا لم أنزل .. بل لن أستطيع أن أنظر في المرآة ثانية . "

تأمل اللافتة التي سيرفعها ، اقشعرَّ جسده ، ودبَّت فيه الحمية ، خرج مسرعاً .. لا يدري أيهرب من الزنزانة أم إليها .. تجنب ألا تراه أمه فتمنعه .. أو يرى أختيه فيتذكر كلام أبيه .. " أنت رجل البيت بعدي " .

كان يمكن أن ينضم إلى المسيرة التي ستنطلق من دار الســلام .. فضَّل أن ينضم إلى مسيرتها الآتية من إمبابة ..

في القطار أخذ يبحث في الأسباب التي جذبته إليها .. بالتأكيد لم يكن شكلها فهو لم يرها أبداً .. ولا صوتها فلم يسمعها قط .. حتى كتاباتها وهي وسيلة الاتصال الوحيدة ليست بخط يدها .. الشيء الوحيد الذي هو متأكد منه أنه رغم شجاعته المعروفة التي تــصل إلى حد التهور يحس بالضعف أمامها.

وجوه المصريين البائسة ، وقواهم المكدودة جعلته يجتهد في إخفاء اللافتة في أثناء الطريق .. " ليس انتحاراً بل استشهاداً برســالة ..

تقول كفي ذلاً ومهانة " يخشى أن يتعلقوا بالحلم ويستيقظوا على كابوس .

الحياة تبدو طبيعية أثناء الطريق .. لكن عندما وصل إلى ميدان مصطفى محمود في الثانية ظهراً راعه ما رأى .. أكثر من خمسة عشر ألفاً يحتشدون في الميدان .. جلال المشهد استولى عليه .. انصهر فيه .. قامته الطويلة بدت قصيرة وسط العمالقة .. لافتته الكبيرة لم تمثل سوى حرف في كتاب .. صوته الجهْوَرِيُّ لا يميزه من رعود الهتاف .. نسيها ونسي نفسه وأمه وأختيه .. الشباب البطل نفض من فوق جسد الأمة كل غبار الذل والمهانة .. تملكه إحساس غريب أن يرى عزرا ورفاقه ، ورجال أمن الدولة وعساكرهم .

سارت المسيرة على كبري ١٥ مايو في اتجاه وسط البلد .. لم يدهشه شباب حي الزمالك الذين يمرون فوقه أن ينضموا إلى المسيرة .. لم تكن ثورة جياع إنما ثورة كرامة .. لم تكن تلك الجماهير الفقيرة المحشودة لتحية الرؤساء ، ولا جماهير الحزب الوطني المنتفعين .. إنها ثورة شباب حر يريد أن يعيش بكرامة.

وقف يتلقط نفسه ويرطب حلقه الجاف بجرعة ماء ، ويلقي نظرة عامة على تلك الحشود .

– " لماذا خرج هؤلاء لمقاومة النظام ؟! معظم هؤلاء الشباب ليسوا جياعاً يحتاجون لقمة ،ولا فقراء يطلبون وظيفة ، ولا مرضى

لا يجدون الطبيب ولا العلاج ، ولا أطفال شوارع لا يجدون السكن ولا الكساء .. ولا أعضاء أحزاب تنافس على الحكم .. ولا أبناء تنظيمات تستعرض قوتها ولا ..ولا ..)

انتبه " علّي علّي .. علّي الصوت .. اللي هيهتف مش هيموت " رفع لافته عالياً ورفع صوته بالهتاف .

كلما رأى صورة لمبارك وهمَّ بإسقاطها وتمزيقها وجد عشرات من الشباب سبقوه إلى ذلك .. يريد أن يفعل شيئاً ، غير اللافتة والهتاف .. عندما وصلت المسيرة إلى شارع الجلاء ورأى قوات الأمن المركزي تذكر أهالي إمبابة وناهيا الذين تصدوا لعساكر الأمن المركزي الذين حاولوا منع المتظاهرين من الزحف إلى ميدان مصطفى محمود ومنه إلى وسط البلد حسب خطة السير المتفق عليها.

هذا هو الاختبار الحقيقي .. الآن أصبح وجهاً لوجه أمام " أمنا الغولة .. أبو رجل مسلوخة .. السلعوة " نبات الخوف الشيطاني الذي زرعه فيه ما قرأه وسمعه عن زبانية أمن الدولة .. أمام عصابة العينين ، والحبس الانفرادي مع العِرَس والفئران ، والطعام المطبوخ بالسولار .

تملكه إحساس رجل مطعون في شرفه .. بركان الغضب النبيل ثار .

قوات الأمن تفرض Cordons أمنية مكثفة تحول دون الوصول إلى ميدان التحرير .. بدأ الكر والفر .. لافتات وهتافات تواجه

دروع وخوذات .. رغم غلظة قسمات الوجـوه ، والحماسـة البادية عليهم إلا أنه أشفق عليهم .

بعد مصادمات يسيرة تراجع العسكر على أثرها .. تحوّل ميدان البطل الشهيد إلى خط نار .. لم يعد يخشى الاعتقال أو المـوت .. كل الذي يخشاه ألا يستطيع أن يرفع عينيه في عزرا أو شمعون إذا رآهما ثانية .. لن أصعق نفسي بالكهرباء .. لن أشعل في جسدي النار .. رفع لافتته وتقدم .. لن يقال ثانية " إن الرجال قد عدمَت عندكم حتى تولوا عليكم " سوزان " والمنصور بن عز الدين أيبك الصبي الغرير .

رأى خلف قنابل الدخان الكثيف .. الحاكم بـأمر الله ناصـر والأتبك العادلي .. دمعت عيناه " عَيْنَان لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ .. " مدافع المياه " وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ منَ السَّمَاء مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ به وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ به الأَقْدَامَ "

أذهله وقوف شاب أمام مدفع المياه الذي تحمله عربة مصفحة وسط هتاف الثوار، وسكان العمارات الواقفون في شرفاهم " راجل .. راجل .. راجل " تمنى لو باع عمره كله في سبيل موقف كهذا " ولم التمني ؟! .. الفرصة مازالت متاحة " أسرع هو وبعض الشباب فوقفوا إلى جوار الشاب البطل في مواجهة مدفع المياه .

العصي واللكمات والركلات تذكره بطوابير الخبز ، والبوتاجاز، وزحام المواصلات .

تجمعت الثوار القادمون من منطقة وسط القاهرة أمام دار القضاء العالي، ونقابتي المحامين والصحفيين، والقادمون من شـــبرا، ودار السلام، وبولاق الدكرور، وهتفوا " يسقط يسقط كل فاسد "و" أهلاً أهلاً بالتغيير " و" يا رغيف فينك فينك البطالة بينا وبينك " .

وبجانب هذه النداءات بدأ يسمع شعارات جديدة ذات طـــابع ديني وإن كانت شعارات عامة لا تكشف هوية صاحبها مثل " الله أكبر .. الله أكبر " .. " إلى الأمام إلى الأمام .. هنصلي العصر في الميدان " .

عندما رأى أولاد خاله : خالد ، ومحمد ، وأحمد عرف أصحاب هذه الشعارات، وأن الأوامر قد صدرت بالمشاركة في المظاهرات فاطمأن قلبه .

ورغم كثرة جنود ساري عسكر إلا أن الشباب اســـتطاعوا أن يصلوا إلى الميدان ويمزقوا صورة مبارك ، ويرفعوا علـــم مـــصر ، ويصلوا العصر .

واستقرت روح شاعر عاش عمره يحلم بهذا اليوم ومات قبل أن يراه

جاءَ طوفان نوح
ها همُ الجُبناءُ يفرّون نحو السَّفينهْ
بينما كُنتُ..
كانَ شبابُ المدينةْ
يلجمونَ جوادَ المياه الجَمُوحْ

ينقلونَ المِياهَ على الكَتفين .
ويستبقونَ الزمنْ
يبتنونَ سُدود الحجارة
عَلّهم يُنقذونَ مِهادَ الصِّبا والحضارة
علّهم يُنقذونَ.. الوطنْ !
..صاحَ بي سيدُ الفُلك - قبل حُلولِ
السَّكينهْ:
"انجِ من بلدٍ.. لمْ تعدْ فيهِ روحْ"!
قلتُ: طوبى لمن طعِموا خُبزهُ..
في الزمان الحسنْ
وأداروا لَه الظَّهرَ
يوم المحَن!
ولنا المجدُ - نحَنُ الذينَ وقَفْنا
(وقد طَمسَ اللهُ أسماءنا!)
نتحدى الدَّمارَ..
ونأوي إلى جبلٍ لا يموت
(يسمونَه الشَّعب!)
نأبي الفرارَ..
ونأبي النُزوحْ

***

٢٧

دخل عبده على الوزير وقد كسا الغضب وجهه .

– خيراً ، يا عبده ، هل حدث شيء ؟

– أتريدني سيادتك أن أذيع هذا البيان ؟!

– أي بيان تقصد ؟

– بيان وزارة الداخلية .

– وما الذي لا يعجبك فيه ؟

– لم يتّسم البيان بأي قدر من الذكاء السياسي، وتعامل مع مظاهرات اليوم بشكل تقليدي ، كما لو أنه كان يتعامل مع مظاهرة صغيرة كسابقاتها.

– الداخلية تعرف الحجم الحقيقي للمظاهرات ، وتعرف كيف تتعامل معها ...

– يا فندم هذه المظاهرات ليست كغيرها .. ليست مثل المظاهرات التي تنظمها حركة كفاية أو ٦ أبريل أو التي تتم أمام نقابتي الصحفيين والمحامين أو أمام مجلس الشعب إنها مظاهرات كبيرة خرجت من القاهرة كلها وغيرها من المدن .

– وعلام تعترض أيضاً في بيان الداخلية ؟

- البيان نسب المظاهرات كلها لجماعة الإخوان المسلمين وهذا هو خطأه الأكبر لقد تجاهل البيان تماماً المعارضة التقليدية كما تجاهل أولئك الشباب، الذين شاركوا في هذه المظاهرات، وتجاهل أيضا مشاركة المصريين العاديين فيها لأول مرة بشكل تلقائي، وتعبيراً عن حالة الغضب والإحباط التي ولدت لديهم الإحساس بعدم الجدوى .. تجاهل البيان كل ذلك، وأعطى الزخم كله، والفضل كله للإخوان المسلمين .

- علمت منذ قليل أن حبيب بيه قال للرئيس : إن جماعة الإخوان حشدت شبابها بتعليمات من الخارج .

وأنت تعلم أن الإخوان هو التنظيم الوحيد القادر على حشد الجماهير ، وأن النظام لا يخشى إلا منه ، والبيان وهو يمهد لضرب هذه المظاهرات لا يريد أحداً في الداخل أو الخارج أن يتعاطف معها وإلا كان يتعاطف مع الإخوان الإرهابيين.

- حتى إذا كان ما ذكره حبيب بيه للرئيس صحيحاً بالنسبة للاتصالات الخارجية فإن إذاعة هذا البيان لن يجعل المواطنين والمتابعين يتعاطفون معه أو يصدقونه ؛ لأن الذين تابعوا من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وجدوا في شوارع القاهرة والمدن المصرية الأخرى، متظاهرين جدداً، وليس كما يدعى البيان أنها مظاهرات إخوانية.

– أنا أعرف هذا ، لكننا لن نستطيع أن نقول للناس إن مظاهرات اليوم شملت جميع فئات الشعب : الأحزاب والحركات السياسية والاحتجاجية ومنظمات المجتمع المدني، وأصحاب الأفكار والتوجهات المختلفة، وبجانب هؤلاء آلاف من طلبة الجامعات .. هل تريدنا أن نقول للناس هذا ؟! كما أن شباب جماعة الإخوان المسلمين شاركوا فعلاً في هذه المظاهرات .

– لكن ما حجم مشاركتهم إذا قيس بغيرهم ، يا فندم ، إن معظم الذين شاركوا في مظاهرات اليوم مواطنون عاديون لم يسبق لهم المشاركة في مظاهرات من قبل .. لقد شَهِدَتْ شوارع متعددة من مصر، ليس فقط ميدان التحرير ، تجمع آلاف المواطنين المصريين، شبابًا وفتياتًا، وشيوخًا، وأسرًا كاملة " الزوجين وأطفالهما " خرجوا جميعًا، للمشاركة في "يوم الغضب"، دون أن يجمعهم الانتماء لأي تيارات سياسية أو تنظيمات داخلية أو خارجية .

– هذا ما يقلقني حقاً ، لكن لا بد من تعظيم دور الإخوان المسلمين حتى تجد وزارة الداخلية مبرراً لفض هذه المظاهرات .

– هل هذا رأي سيادة الرئيس ؟

– أنا لم أتحدث مع الرئيس بشأن هذا البيان لأني أعلم مدى ثقته في حبيب بيه إنما أخبرته بنتيجة مباحثاتي مع بعض رموز المعارضة الذين التقيت بهم بعد المغرب .

– خيراً ، يا فندم ، ماذا حدث مع من تحدثت معهم من المعارضين .

– هم لهم طلبات إصلاحية مثل : إقالة حكومة نظيف، وحل مجلسي الشعب والشورى، والمجالس المحلية، وتعيين حكومة إنقاذ وطني لمدة ٦ أشهر، يتم خلالها إقرار دستور جديد لمصر . وسوف تستمر الاعتصامات والاحتجاجات في مختلف المحافظات إلى أن تتم استجابة هذه المطالب .

– وهل أخبرت سيادة الرئيس بكل هذا ؟!

– بالطبع لا .. إنما حدثته بالقدر المناسب الذي يستطيع تحمله ،ولا يعكر مزاجه.

– وماذا كان رأيه ؟

– الرئيس لا يعلق إنما يريد أن يعرف الموضوع إجمالاً دون الدخول في تفاصيل من باب العلم بالشيء أما القرار فلجمال بيه ولجنة السياسات .

– وما رأيك سيادتك ؟

– الحقيقة إن مظاهرات اليوم وإن كانت أكبر مما سبقها من مظاهرات إلا أنها لا تصل لحد التسليم بكل طلباتهم إنما يكفي عمل تعديل وزاري ، والوعد بتنفيذ الأحكام الصادرة من القضاء المقدمة في صحة عضوية أعضاء مجلس الشعب، وفتح باب الحوار مع رموز المعارضة الشرعية في المستقبل .

– المهم رأي سيادتك الأخير بالنسبة للبيان .. هل نذيعه كما هو أم نغيِّر فيه ؟

– ذعه كما هو .. إنه بيان وزير الداخلية .. ألا تعلم من هـــو وزير الداخلية ؟!

***

٣٤

بعد منتصف الليل وتحت تمثال عمر مكرم كان العشرات يفترشون الأرض يستريحون من عناء يوم طويل شاق بدأ بالمسيرات والهاتفات وانتهى بالاستقرار في الميدان بعد مواجهات عنيفة مع الأمن المركزي .

كان زياد مسنداً ظهره لقاعدة التمثال ، وحوله أولاد خاله ، وآخرون وبعد أن حكى كل واحد ما شاهده وتعرض له ، قال خالد :

– أنا آسف يا زياد .

– ولم الأسف ؟

– أتذكر آخر مرة زرتنا فيها ، وسألتني عن أحوال البلد .

قال زياد مازحاً وكأنه يُعَيِّره :

– ويومها قلت لي إن مبارك أفضل من غيره ، وأن حرية الرأي مكفولة لكل الناس .. والمظاهرات تحميها الشرطة ، وأن...

– انتظر .. انتظر حتى أكمل كلامي ...

قال زياد وقد زاد في مزاحه :

– لا بد أن أفضحك أمام أخوتك ، يومها قال لي : إن المدونين مراهقون سياسيًّا وأن من يترل منهم يوم ٢٥ ينـــاير لـــن يـــصل عدده...

وضع خالد يده على فم زياد يحاول أن يمنعه من مواصلة الكلام وسط ضحكات أخوته ومن كان يتابع الحديث وهو يقول :

– بصراحة .. ظننت أن أمن الدولة قد جندك .

ثم واصل كلامه وهو لا يزال يضع يده على فم زيـــاد وقـــال موجهاً كلامه لمن كان يتابع الحديث :

– ابن عمتي هذا طوال عمره شاب مُدلَّل لا علاقة له بالسياسة ولا يعرف حتى اسم رئيس وزراء مصر .. وفوجئت بقبض أمـــن الدولة عليه ، ثم أفرجوا عنه بعد كذا يوم ، وبعد الإفـــراج عنـــه بيومين زارنا في البيت وأخذ يسألني عن أحوال البلـــد وموقـــف الإخوان منها .. قلت : أكيد أمن الدولة قد جنده .

ما كاد خالد يقول هذا حتى غرق كل من يتـــابع الحـــديث في ضحك متواصل ، وكلما هدأ الضحك يقول أحد المـــشاركين في الحديث تعليقاً يثير موجة أخرى من الضحك .

ولم يوقف مرح هؤلاء الشباب الطاهر البريء إلا إنذارات رجال الأمن تدعوهم إلى فض الاعتصام والعودة إلى منـــازلهم ، وتهـــدد بفض الاعتصام بالقوة .

نهضت الأجساد المكدودة وعلت الأصوات المبحوحة واصطف الشباب تحت أعلام مصر المرفوعة .

" سلمية .. سلمية .. سلمية .. " .. "يا أبـو دبـورة ونـسر وكاب.. إحنا اخواتك مش إرهاب "

وبعد دقائق معدودة من سماع الإنذارات والتهديد انهالت علـى المعتصمين عشرات القنابل المسيلة للدموع ، غطت الميدان بسحب داكنة خانقة فصلت بين الأخ وأخيه ، والأب وابنه إذا أخرج يده لم يكد يراها ، وإذا حاول التنفس لم يكد يجد هواء ، ولم يكتـف عسكر العادلي بهذا بل أمطروا المعتصمين بوابل مـن الرصـاص المطاطي ، أعقب ذلك هجوم بري بالعربات المصفحة تطيح بكـل من يقابلها ، وآلاف من قوات الأمن المركزي تـضرب ضـرباً عشوائيّاً دون تمييز بين كبير وصغير أو بين شاب وفتاة .

تحول الميدان إلى ساحة قتال بين طرفين غير متكافئين بين شباب يهتف " سلمية .. سلمية " وقوات أمن تضرب بعشوائية .

وبعد ساعات من الكر والفر فضَّ الجنود الأشاوس الميدان .. لم يخرج واحد من الميدان سليماً من لم يصب بالرصـاص أصـيب بالعصي .. ومن لم يصدم بالمصفحات أصيب بالاختناق .

وعندما طلع الفجر كانت نجوم الميدان قد اختفت ولم يبق فيه إلا البوم والغربان وبقايا دماء زكية ورائحة الدخان .

***

لم يؤثر فيه كل ما لاقى في يومه الطويل بقدر ما أثر فيه كلام أمه ودموعها ونظرات أختيه الحائرتين .

استيقظ من النوم بعد الظهر فأسرع إلى جهازه .

Asmaa Mahfouz

أنا جيت كويسة الحمد لله بـــس اصـــابات في رجلـــي نتيجـــة للرصاص المطاطي

المهم يا جماعة بكرررررررررة من الصبح لازم كل الناس تنزل الشارع ملهاش حل تاني لو بكرة محدش نزل خلاص كده خلصت

وكمان في ناس كتيييير جداا اتاخدواااا وسمعت ان في ناس ماتت بس مش عارفة مين

26 يناير الساعة 12: 4 صباحا

التعليق

33 معجبون

shady mohamad في السويس واحد وفي شبرا اتنين

Samuel Girgis أنا سمعت انهم قبضوا على أكثر من الف واحد منهم واحد صحابي

Abu Samra: ياعم ايه الكلام اللي بتقولوه ده مات كام واحد واعتقل الف انتوا بتالفوا دي الاخبـــار الرسميــة اللـــي بيـــذعها التليفزيون بتقول ان المتظاهرين هم اللـــي ضــربوا في الـــشرطة واصابوا ١٨ ضابط و٨٦ جندي وقال ايه مظـــاهرات ســـلمية هاهاهاهاهاهاها

Samuel Girgis عندك حق فالمتظاهرين همـــا اللـــي معـــاهم العربيات المصفحة والبنادق ومدافع المية وقنابل الـــدخان يـــاخي حرام عليك بطل افترى وبطل تتفرج على التليفزيـــون المـــصري وشوف الجزيرة

بدأت الأحداث تترى بإيقاع متسارع كأنه سباق عدو في أمتاره الأخيرة .

استمرار المظاهرات .. ميدان التحرير أصبح ثكنة عسكرية ..

الآلاف يتجمعون في كل ميادين مصر وقوات الأمـــن تـــشتبك معهم .. عدد الشهداء في مدينة السويس وصل إلى أربعة .

لم يستطع النزول ؛ فجروحه مازالت تنزف ، ودمـــوع أمـــه لم تجف، واتصالات أبيه لم تتوقف .

أخذ يتابع كل الأخبار يشاهد كل القنـــوات يبحـــث في كـــل المواقع.

***

٣٦

استيقظ على رنين تليفونه

- أهلاً ناصر .

- أمازلت نائماً ؟!

- لقد سهرت طويلاً بالأمس .

- لم أرك بالأمس معنا .

- والله كنت متعباً جداً ، وجروحي لم تبرأ .

- كلنا أكثر منك تعباً وجروحاً ، ولكننا نزلنا .. المهم ستترل اليوم .. سنتجمع عند دار القضاء العالي .

- الحقيقة أني وعدت أبي وأمي ألا أنزل ثانية .

- يا زياد لابد أن نكمل ، والاكتفاء بما حدث يوم ٢٥ لن يحقق شيئاً .. زياد الأمر ليس أمراً شخصيّاً .. إنه مستقبلي ومستقبلك ، مستقبل البلد .. لابد أن نكمل المشوار .. إذا لم تستطع أن تترل اليوم فلابد أن تترل غداً " جمعة الغضب " أرجوك يا زياد لا تفرط في دم الشهداء ، وقد رأيت كم هم أبرياء وأنقياء .

اشتعلت في جسده نيران الثورة .. وفخره أن شـــارك هـــؤلاء الشباب في ثورتهم .. وتذكر نسمات الجنة التي كانت تهب عليهم في الميدان .

أسرع بارتداء ملابسه ، وعندما همَّ بالخروج وقفت أمه حـــائلاً بينه وبين الباب ، وأقسمت عليه ألا يخرج .. توســـل إليهـــا .. استحلفها بكل عزيز وغالٍ دون فائدة .. بكى وهو يـــستعطفها دون فائدة .. دينه وتربيته حـــالا دون أن يـــدفع أمـــه بـــالقوة والخروج.. عاد إلى حجرته تفيض عينه من الدمع مما عرف مـــن الحق وحيل بينه وبين شهوده ونصرته .

أخرج جهازه ليتواصل مع الأصدقاء الذين لم يعرفهم إلا مؤخراً ولكنه يحس أنهم أغلى الأصدقاء ونعم الأهل .

Asmaa Mahfouz

أنا مش قادرة اتحرك ومتكسرة ميت حتة ومش قادرة احرك حتة واحدة

ارتاح شوية وهكمل والله لو اموت مش مهم انا امبارح كنـــت طول اليوم عمالة اتشاهد .

سمع رنين تليفونه

– أهلاً يا خالد .

– السلام عليكم يا زياد

– وعليكم السلام .

– كيف حالك ؟

– الحمد لله .

– هل ندمت على يوم ٢٥ ؟ أم ماذا ؟

– ما الذي يجعلك تقول ذلك ؟

– لم نرك بالأمس في المظاهرات .

– لقد كنت متعباً جداً

– أكيد ستنزل غداً " جمعة الغضب " .. سنصلي الجمعة في مسجد النور في العباسية .. لا بد أن يأتي معك عشرة على الأقل .. غداً يوم الفصل وما هو بالهزل .. انزل أنت ووالدتك وأختيك وحاول أن تقنع كل من تعرف بالنزول .. سننزل جميعاً غداً إن شاء الله .. وعدم النزول خيانة لله وللوطن .

اتصال خالد أعطاه حجة قوية لإقناع أمه بالنزول غداً .

بعد أن صلى الظهر أخذ يسترضي أمه فيمازحها تارة ويداعبها تارة أخرى .

بعد الغداء نام ولم يستيقظ إلا بعد المغرب ، وبعد الصلاة جلس مع أمه وأختيه يشاهد التليفزيون ويعلق تعليقات ضاحكة على ما يشاهده مما أشاع جواً من البهجة في البيت لم ير مثله لما يقرب من شهر .

وقبل أن ينام أخرج جهازه ليعرف آخر الأخبار عن جمعة الغضب .

Asmaa Mahfouz

يا جماعة كل واحد بكرة ياخد معاه علم مصر ويحطـه تحـت هدومه وبعد الصلاة كلنا هنرفع علم مصر مرة واحدة من كـل الجواااااااااااااامع مع كل الناس تبتدي تتجمع عند أقرب ميـدان ومنه على مسيرة لوسط البلد أيان كان المكان بعيد

27 يناير الساعة 24 : 4 مساء

تعليق

أشخاص (7) معجبون بهذا

Ashraf fathy Mohamed أحمد المسلماني – الطبعـة الأولى

عاجل

أشرف زكي " نقيب المهن التمثيلية " يرفض دعـوة " خالـد الصاوي " التي وجهها اليوم لزملائه الفنانين بـالتجمع في نـادي النقابة للتضامن مع مظاهرات الغضب .

Asmaa Mahfouz

أنباء عن غلق شبكات المحمول الثلاثة غدا من الساعة 12 ظهرا

استعدوا جيدا حتى لا يصيبكم الاغلاق بالفوضى

كله يبقى عارف راسه من رجله ومظبط حيقابل أصحابه فـين وامتى من الصبح بدري أو من النهاردة بالليل غدا يوم الحسم

27 يناير الساعة 19 : 5 مساء

تعليق

Ahmed esam mousa عاجل مؤكد الأمـــن يحاصـــر نقابـــة الصحفيين أثناء تظاهر المئات من النشطاء والاعتداء على إحـــدى الصحفيات بالضرب المبرح

كلنا خالد سعيد

زمان كنت باقول إحنا الأقوى والناس بتتريأ علي .. دلوقتي لو قلت إحنا الأقوى هتصدقوا ولا لسه هتتريأوا ؟

كلنا خالد سعيد

اكتشفت امبارح إن مصر مليانة رجالة فعلا مـــش بيخـــافوا .. تخيل لما تبقى بطولك وتهاجم فوق الخمس عساكر أمن مركـــزي واقفين بعصيانهم ومتدرعين عشان تفك الحصار عن الناس .. بجد راجل حر .. وتستاهل تدوق طعم الحرية

كلنا خالد سعيد

خالد سعيد مولود ٢٧ يناير ١٩٨٢ يعني تم ٢٩ سنة الـــريس بقاله ٢٩ سنة (خلاص دي السنة التلاتين)

Marim Husseein احتفال عيد ميلاد خالد هو هو احتفـــال نهاية حكم حسني مبارك

حياتك كانت ثمن لما نحن فيه الان من صحوة طاب مقامك يـــا خالد عند ربك العلى الكبير

٢٧ يناير، ٢٠١١، الساعة ٠٥:١٣ مساءً • أعجبني

Mohammed Almotawkel الله يرحمه وجزاه الله عن مـــصر خيرا كل اللي بيحصل ده لعنات دمه المبارك

٢٧ يناير، ٢٠١١، الساعة ٠٧:٤٥ مساءً • أعجبني

HossamEl-Din Salah رحمك الله ياخالد .... وسيكون دمك نورا ينير لنا الطريق ونارا تلفح أعداء الله

٢٧ يناير، ٢٠١١، الساعة ١٠:٥٥ مساءً • أعجبني

Israhim Fahmy ضروري الكل ينشر هتافات الشعب السبعة في جمعة الغضب

هي دي مطالب الشعب المصري

الشعب...يريد...إسقاط النظام

الشعب...يريد...أمواله من الحرامية

الشعب...يريد...مرحلة انتقالية

الشعب...يريد...عدالة اجتماعية

الشعب...يريد...محاكمة الداخلية

الشعب...يريد...العدل والحرية

الشعب...يريد...تغيير الدستور

27 يناير، ٢٠١١، الساعة ١١:٠٢ مساءً • أعجبني

Nessma Essa الله يرحمك ياخالد ويرحم اموات‌نا جميعا وشهدائنا وفعلا انت موتك كان القشه التى قصمت ظهر البعير رحمك الله

٢٧ يناير، ٢٠١١، الساعة ١١:١٦ مساءً • أعجبني

نام وقد عقد العزم على المشاركة في جمعة الغضب مهما كلفه الأمر .

***

٣٧

أحداث متتابعة .. متعارضة .. متشابكة .. متنــافرة .. كأنــه شريط سينما يختصر تاريخ أمة في شكل لقطات سريعة متتابعة .

بدأت أحداث جمعة الغضب في ليلتها قبل نهارها .

– يا أفندم لا بد من بعض الإجراءات التي تحتــاج إلى موافقــة سيادتك شخصيّاً حتى نحد من مظاهرات الغد .

– مثل ماذا ؟

– قطع خدمة SMS وFacebook ...

– قطع هذه الاتصالات مشكلة كبيرة ، فما الداعي لها ؟

– يا فندم الدعوة إلى المظاهرات والتخطيط لها وتناقل أخبارهــا كان عن طريق الــ Facebook وصفحة خالد سعيد وغيرها .

– احجبوا إذن مواقع الــ Facebook ، ولا داع لحجب رسائل الــ Mobile نحن لا نريد مزيداً من المشكلات .

– يا فندم لقد رصدنا بعض رسائل SMS علي الــــ Mobile آتية من خارج مصر مثل " اجعلوا الولادة متأخرة ..لا تدعوا الأم واقفة في مكان واحد فالحركة لها مفيدة جداً " .

– وما معنى هذا ؟!

- هذه الرسائل آتية من الخارج بتعليمات لجماعة الأخوان المسلمين تدعوهم إلى عدم التعجل في الاشتراك في المظاهرات إلا بعد التأكد من قوة المظاهرات واستجابة القوى الوطنية والحركات الشبابية لها ، كما تنصحهم بألا يحتشدوا في مكان واحد إنما يتوزعون في أماكن كثيرة ، ويتحركون من مكان إلى مكان بصفة مستمرة حتى تتشتت قوة الأمن وتضعف.

- أصحيح هذا ؟!!

- نعم يا فندم ، لذا يجب قطع خدمة SMS وFacebook ، وربما نضطر إلى قطع خدمة الـ Internet بشكل كامل ، وقطع اتصالات Mobile phone أيضاً .

- يجب ألا تلجأ إلى هذا إلا في أسوأ الظروف فجميع البنوك والمصانع والشركات والمؤسسات ومصالح الناس تعتمد على هذه الخدمات وقطع هذه الخدمات يصيبها بالشلل .

Asmaa Mahfouz

الفيس بيتقفل يا جماعة انزلولوووووووووووو بسرررررررررررعة كل الناس تنزل الشارع وتتكلم مع الناس في القهاوي والجيران خبطو عليهم

اعملو مظاهرات في كل شارة وحارة لحد ما نكبر ونتحد كلنا في وسط المدينة أو عند قصر الرئاسة حسب العدد كل ما يزيد

Ahmed el orbany بصراحة أنا بعتبر أن ده أجمد واحد لأنه ضرب لي البروكسي اللي الشركة بتستخدمه عندنا

أحمد مراد استخدموا اوبرا ١١ وهايفتح معاكم من غير بـــرامج .. قفل عندي وفتح مع اوبرا ١١ انشروه بسرعة

- محدش يحاول يبعت حاجة بـــ SMS عشان خلاص اتقفلت.

– يا شيخ مصطفى لا يجوز الخروج على الحـــاكم وإن جلـــد ظهرك وأخذ مالك .

– يا شيخ عبد العظيم أفضل الجهاد " كلمة حق عند ســـلطان جائر " .. يا شيخ عبد العظيم أبو ذر الغفاري يقول " عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج شاهراً سيفه على النـــاس".. ونحن سنخرج من أجل " العيش .. الحرية .. الكرامة الإنسانية " في مظاهرات سلمية لن نشهر فيها إلا الأعلام .

– المظاهرات مليئة بالتحرشات الجنسية والمخـــدرات وتـــرك الصلوات .

– هذا كذب وافتراء ، والله ما رأيت أطهر من هؤلاء الـــشباب يهتفون بسقوط الظلم رافعين علم مصر وعندما تحـــين الـــصلاة يرفعون أصواتهم بالتكبير ويخفضون رءوسهم لله تعالى .

– أين الشيخ خيري ؟

– وماذا تريد منه في هذا الوقت ؟

– قل له يخرج إلينا وإلا اقتحمنا البيت .

– أنا خيري .. أنا خيري .. ماذا حدث ؟
– أشرف بيه ينتظرك أمام البيت .
– لحظة أبدل ملابسي ، وأعد حقيبتي .
– الأمر بسيط .. مجرد سؤال وستعود في الحال .
– كل مرة تقولون نفس هذا الكلام .. مجرد سؤال ، والسؤال يتحول إلى تحقيق، والتحقيق يتحول إلى اعتقال ، والاعتقال يستمر شهوراً وربما سنين .. " للّه الأمرُ مِنْ قَبْل ومِنْ بَعْد "
– أهلاً يا ناصر .
– أريد أن أكلم زياداً .
– إنه نائم .. هل أوقظه ؟
– نعم .. أرجوك .
– أما زلت نائماً يا زياد .
– الوقت ما زال مبكراً .. لماذا لم تتصل بي على الـ Mobile ؟
– جميع شبكات المحمول الثلاثة قطعت اتصالاتها .
– منذ متى ؟
– تقريباً الساعة العاشرة صباحاً .. هيا أسرع بالنزول .
يريد أن يعرف مزيداً من الأخبار قبل أن ينزل .
فتح جهازه .. الـ Internet مقطوع .
أسرع إلى قناة الجزيرة فوجئ بإغلاقها هي أيضاً .. لم يكن أمامه طريقة لمعرفة ما يجري إلا أن ينزل.

– لابد أن أنزل يا أمي .

– لا يا زياد كفى إلى هذا الحد .

– المصريون يملئون الشوارع .. وخالي سيترل هو وجميع أسرته .

– لا علاقة لنا بأحد .

– أنا سأنزل يا أمي مهما كان الثمن .

– يا قس زكريا ، مالنا والمظاهرات نحن رجال دين لا رجال دنيا .. دَعْ ما لِقَيْصَرْ لِقَيْصَرْ وما للّه للّه .

– يا قس بطرس لا بد أن نحرس الدنيا بالــدين " مــن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني " .

– وقرار قداسة البابا بعدم المشاركة في هذه المظاهرات .

– هذا قرار سياسي فرضته عليه ظروف لا نعلمها وليس قراراً دينيّاً ، وصدقني إن قداسة البابا سيكون سعيداً بأي عمل وطــني لصالح البلد .. ونحن لسنا أقل وطنية من سائر المــصريين الــذين ملئوا ميادين مصر .

– أيها الأخوة المسلمون ، الفتنة نائمة لعن الله مــن أيقظهــا ، {الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُــسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم } أيها الأخوة المسلمون طاعــة ولي الأمر واجبة ، والخروج عليه كبيرة { وَأَطِيعُــوا اللَّــهَ وَأَطِيعُــوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ } .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .. اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظ مصر بلداً آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .. اللهم من أرادها بسوء فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره .. اللهم وفق رئيس جمهوريتنا الرئيس محمد حسني مبارك إلى صلاح البلاد والعباد .. آمين .. آمين يا رب العالمين .. وأقم الصلاة .

- الشعب يريد إسقاط الرئيس .
- يا جمال قول لابوك الشعب المصري بيكرهوك .
- متعبناش متعبناش .. الحرية مش ببلاش .
- يا مبارك غور غور خلي الشعب يشوف النور .
- مش سكتين مش سكتين احنا خرجنا ومش رجعين .
- علوا علوا علوا الصوت الي بيهتف مش هيموت .
- يا مبارك يا طيار جبت منين ٧٠ مليار .
- ارحل ارحل زي فاروق شعبك منك بقى مخنوق .
- يا أهلينا يا أهلينا .. يا أهلينا انضموا لينا
- يا أهلينا انضموا لينا .. قبل ما مصر ما تغرق بينا .
- لماذا تبكي يا أبي ؟
- أريد أن أنضم إليهم .. ولكن لا أستطيع .
- لماذا يا أبي ؟!
- إن طاوعني جسدي فسنوات القهر تكبلني .

– إذا كنتم يا أبي ظللتم ستين عاماً في سجون القهر فنحن لن ندخلها .. بإذنك يا أبي سأنزل مع أصدقائي .

– يجب تفرق هذه المظاهرات بأية وسيلة ، ومنعها من الوصول إلى ميدان التحرير مهما كلفنا الأمر .

– أعداد المتظاهرين كبيرة جداً جداً ويحتشدون أمام كل مداخل الميدان .. ماذا نفعل ؟

– اعموا أبصارهم بقنابل الغاز .. وأغرقوهم بمدافع المياه .. واضربوهم بالرصاص المطاطي.. وفرقوا شملهم بالعربات المصفحة.

– لكن يا فندم هذا فيه خطورة شديدة على حياقم .. والمظاهرات سلمية .. وفي استخدام كل هذه الوسائل عنف غير مبرر .. ووسائل الإعلام لن ترحمنا ، ومنظمات حقوق الإنسان ...

– هذه أوامر عليا يجب تنفيذها .. نفذ الأمر وإلا حولتك إلى محاكمة عسكرية .

***

٣٨

قال الوزير الذي لا تتوقف تليفوناته الأرضية عن الرنين :

– خيراً ، يا عبده ، ماذا حدث ؟

– هناك كارثة .. كارثة .

– تكلم يا عبده ليس لدي وقت .

– حبيب بيه أرسل بياناً وطلب إذاعته على الهواء فوراً ، وأنا أرى أن ...

قال الوزير بحدة :

– وماذا في هذا البيان ؟

– البيان يتحدث عن دور الإخوان المسلمين في إشعال المظاهرات ، ويحملهم مسئولية العنف .. وأن الشرطة سوف تتعامل بمنتهي القسوة مع المتظاهرين .. وأن الشرطة مضطرة للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات المقصودة التي تتعرض لها لإسقاط هيبة الدولة وإشاعة الفوضي .

أخذ الوزير البيان وبعد الانتهاء من قراءته ، رفع سماعة التليفون الأحمر وطلب رقماً ثم قال :

- أنا أنس .. حبيب بيه أرسل بياناً يريد إذاعته فوراً .. البيان يُحمِّل الإخوان مسئولية العنف ، ويتوعد المتظاهرين بالرد بمنتهى القسوة .. وهذا معناه استخدام الذخيرة الحية في مواجهة المتظاهرين وهو أمر بالغ الخطورة .. لا .. لا الرئيس نفسه .. أرجوك بسرعة .. الرئيس نفسه .. بسرعة فالأمر لا يحتمل أي تأخير .

- ترى سيخبرون سيادة الرئيس فعلاً ؟

- بالقطع سيخبرونه .. لم يعد الموضوع موضوع سياسة إنما أصبح قرار حرب، والرئيس وحده هو الذي يستطيع أن يأخذ القرار .

- وهل سيوافق سيادة الرئيس على بيان حبيب بيه ؟

- لا أظن .. لا أظن .. الرئيس يدرك تماماً خطورة استخدام الذخيرة الحية ضد المتظاهرين السلميين .. العالم كله يرى المظاهرات على الهواء مباشرة .. ولن نستطيع أن نبرر استخدام العنف معها بادعاء أن المتظاهرين من مثيري الشغب وأنهم يعتدون على الممتلكات الخاصة والعامة .

دق جرس التليفون

- ليس هذا وقته .. مع السلامة .

قال عبده :

– حبيب بيه بدأ استخدام العنف فعلاً .. العربات المصفحة تدهس المتظاهرين منذ الصباح !! وهذا ما يزيد المتظاهرين إصراراً، ويؤجج غضب الناس فيهرعون للترول والمشاركة في المظاهرات.

– وأين يرون هذا ؟ لقد أغلقنا قناة الجزيرة .

– الناس كلها تشاهد قناة الجزيرة مباشر .

– يا أخي قناة الجزيرة هذه كلما أغلقنا لها تردداً ظهرت على تردد آخر ، الحقيقة رغم اختلافنا مع توجهاهّا المشبوهة إلا أن العاملين فيها أولاد شياطين !!

– التليفزيون المصري لو أعطيت له أوامر بتغطية الأحداث لرأيت مشاهد لهذه المظاهرات لم ترها في أي قناة أخرى ، ولكن سيادتك تعلم ما هي القيود التي يفرضها علينا الأمن والتي تحظر علينا ...

دق جرس التليفزيون فتوقف عبده عن الكلام وأسرع الوزير برفع السماعة ويقول :

– ألو .. نعم .. نعم .. نعم .. معقول !! .. الجيش سيترل .. وماذا كان رد فعله ؟ .. كنت أتوقع هذا .. مع السلامة .

– خيراً يا فندم .

– الرئيس اتصل بحبيب بيه وعنفه ووبخه وسبه بألفاظ حادة ونابية ..

– مستحيل .. مستحيل .. يسب حبيب بيه .. حبيب بيه !!

– هذا ما قيل لي ، وفي نهاية المكالمة أخبره بنزول الجيش لأنه قادر على التفاهم مع الناس أكثر من الشرطة .

– وماذا قال حبيب بيه ؟

– ماذا يمكن أن يقول .. لا يملك إلا أن ينفذ الأوامر ، ويتعاون مع القوات المسلحة .

– لكن هل حبيب بيه الذي لم يكن فقط المسئول الأول عن الأمن إنما كان المسئول عن حل معظم المشكلات التي تواجه النظام يقبل أن يشاركه أحد في حفظ الأمن ؟!!

– الحقيقة أن النظام خاصة في السنوات الأخيرة اعتمد على حبيب في أمور كثيرة ، وأعطاه صلاحيات واسعة لم تعط لأحد منذ شمس بدران وصلاح نصر .. لكن ماذا يمكن أن يفعل ؟

***

ما إن ظهرت القوات المسلحة حتى تلاشت الشرطة وذابت بين الناس ولم يعد لها وجود حتى في تنظيم المرور في الميادين !!

تدفق المتظاهرون إلى ميدان التحرير من كل حدب وصوب .

وأضيف إلى هتافاتهم هتافاً جديداً .

" الجيش والشعب إيد واحدة .. الجيش والشعب إيد واحدة .. أيد واحدة .. أيد واحدة "

ورغم فرح المتظاهرين بانسحاب الشرطة ووصولهم إلى ميدان التحرير إلا أن أحداث أسوأ ليلة شهدتها مصر بدأت تترى .

– لقد حانت الفرصة .. الشرطة انسحبت .. ولن يتعرض لكم أحد .. كل ما تستولون عليه ملك لكم .. كل سلاح أقسام الشرطة أصبح مشاعاً .. لا تخافوا فلن يستطيع أحد أن يستدل عليكم .. نحن سنحميكم كما كنا نحميكم من قبل ..

– يا سعادة الباشا .. أنت الذي تطلب منا هذا !!

– نعم .. هيا بسرعة .. اجمعوا أكبر عدد من أصدقائكم ، وأكبر كمية من السلاح وابدءوا الهجوم فوراً .

– والجيش ؟

– الجيش مهتم فقط بتأمين الأماكن المهمة والمنشآت الحيوية .. أما المحال الكبرى ومساكن الأغنياء والسيارات فلا حارس لها .. اطمئنوا لستم وحدكم الذين تقومون بهذا .. رجالنا في كل حي سيقومون بنفس الدور .. وهذه فرصة نعوضكم بها عن المجهودات الكبيرة التي كنتم تقومون بها من أجلنا خاصة أيام الانتخابات .

– سيداتي وسادتي نظراً لما شهدته بعض المحافظات من أعمال الشغب والخروج على القانون ، وما شهدته من أعمال النهب والتدمير والحرق والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة بما في ذلك بعض البنوك والفنادق أصدر الحاكم العسكري قراراً بحظر التجول في محافظات القاهرة الكبرى والإسكندرية والسويس من الساعة السادسة مساء وحتى السابعة صباحاً اعتباراً من اليوم الجمعة الموافق الثامن والعشرين من يناير ٢٠١١ ولحين إشعار آخر ، كما أصدر الحاكم العسكري قراراً بأن تقوم القوات المسلحة بالتعاون مع جهاز الشرطة لتنفيذ هذا القرار والحفاظ على الأمن وتأمين المرافق العامة والممتلكات الخاصة.

– ماذا عليك أن تفعل الآن يا أبراهام ؟

– السيد ليفانون أنا عندي خطة محكمة لبث الرعب وإشاعة الفوضى وإطلاق رجالنا وعملائنا بين المتظاهرين لتوجيههم إلى حرق المنشآت والاعتداء على أقسام الشرطة والسجون والمنشآت

العامة والخاصة ، والأخطر من ذلك إحداث الوقيعة بين الجيش والشعب .

- وهل بدأت العمل ؟

- العمل يسير على قدم وساق وعملاؤنا ينفذون التعليمات بكل دقة .

- أأنت واثق من هؤلاء العملاء ؟

- كل الثقة سأعطي لك مثالاً هناك عميل لنا اسمه " إيلان تشايم" يعد صديقاً لكثير من شباب الثورة ، وله صور كثيرة معهم، إنهم يعتبرونه سائح أمريكي محب لمصر وسعيد لما جرى فيها من ثورة على النظام الفاسد ، بل يعتبرونه أكثر منهم ثورية على هذا النظام المستبد !!

- وماذا عن الجاليات الأجنبية ؟

- سوف تصدر بيانات من جميع أصدقائنا في العالم تطلب من جالياتها سرعة مغادرة مصر حفاظاً على سلامتهم .

- أرجوكم أدركوا المتحف المصري .. بعض البلطجية استطاعوا التسلل إليه ،وهم الآن يقومون بسرقة محتويات المتحف.

- أنقذوا المتحف المصري .. على الشباب الذي يسمعني الآن التوجه إلى المتحف المصري لحمايته فوراً .. القوات المسلحة يجب أن تتحرك بسرعة لإنقاذ المتحف حتى لا يكون مصيره مثل مصير متحف العراق أثناء الغزو الأمريكي .

– عد يا ابني إلى الميدان وأنا هنا أحرس البيت مع الجيران .

– يا أبي أخشى أن تهاجمكم البلطجية .

– قلت لك عد إلى الميدان وإلا ذهبت أنا إليه .

– سيداتي وسادتي جاءنا البيان الثاني أصدر الحاكم العسكري بفرض حظر التجول في كل محافظات مصر ابتداءً من الساعة السادسة مساء حتى الساعة السابعة صباحاً .

– لا تخافي يا شيماء ، لقد أغلقنا الباب بالمفتاح ، ووضعنا خلفه المناضد والكراسي .

– وأين زياد ؟

– يا أستاذ أحمد هناك بلطجية يحملون السلاح ويهاجمون البيوت في شارع شهاب .

– نداء إلى القوات المسلحة توجهوا فوراً إلى شارع شهاب هناك بلطجية يقتحمون البيوت .

– على السادة المشاهدين إبلاغ أي وحدة قوات مسلحة قريبة منك عن أي هجوم ، أو الاتصال بنا ونحن سنذيع استغاثتك على الهواء مباشرة .. معنا اتصال .

– يا أستاذ أحمد مجموعة من الملتحين المسلحين ومعهم سيدات منقبات يقتحمون كازينوهات شارع الهرم وبعد سرقتها يشعلون فيها النار .. أرجوكم بلغوا القوات المسلحة بسرعة .. الناس تكاد تموت من الخوف .

– على القوات المسلحة التوجه إلى شارع الهرم بأقصى سرعة .. أدركوا الناس .. أدركوا الناس .. عصابات مسلحة تملأ الشوارع والميادين .. الناس تعيش في ذعر .. معنا اتصال آخر .

– يا أستاذ أحمد .. أنا أسكن في المعادي .. أصوات طلقات نار لا تتوقف آتية من جهة سجن طرة .. سجن طرة يُفتح والمساجين يهربون .. الناس هنا تكاد تموت من الرعب .

– أستاذ أحمد المساجين الهاربون من سجن المرج يثيرون الفزع بين السكان .

– أستاذ أحمد مدينة السويس تشهد حرباً حقيقية مثل حرب ٦٧ ، و٧٣ جميع أقسام الشرطة قد اقتحمت وهرب كل المساجين وسرق السلاح كله .. قسم الأربعين يحترق الآن.

– أنا أحمد السقا أطلب من كل الشباب أن يترل ليحمي بيته وشارعه ، ويتعاون مع شباب الحي للقبض على اللصوص والبلطجية ..أنا في الدقي الآن أشارك شباب الحي في تأمين البيوت والشوارع.

– ماذا تفعلين يا إيفا ؟!

– أجهز حقائبي للعودة إلى أمريكا .

– لم هذا القرار المفاجئ ؟!

– ألا تعلم حقاً ، أم أنك أصبحت متخلفاً مثلهم ؟!

– حقيقة لا أعلم سبباً لسفرك المفاجئ .

– ألا ترى الانفلات الأمني ، والفوضى ، والسلب والنهب ، وقطع كل الاتصالات اللاسلكية ، وحالة الذعر التي ...

– إنها ثورة حقيقية ، ولكل ثورة آثارها السلبية ، والنظام القديم لن يسلم بسهولة .

– وهل هؤلاء يعرفون الثورات مثلنا إنهم شعوب همجية بربرية، إنهم عبيد لكل حاكم ، وعندما يثورون تكون ثورتهم ثورة جياع .. سلب ، ونهب ، وقتل .. وليست ثورة من أجل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية .

قال متهكماً :

– كلامك صحيح بدليل أن المصريين هم أول من أقاموا حضارة في التاريخ وآخر من قام بثورة سلمية كان شعارها الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية !

– التليفزيون المصري يتعمد إشاعة الذعر بين الناس .

– وماذا عن السلب والنهب والانفلات الأمني ؟

– الانفلات الأمني مسئول عنه وزارة الداخلية التي انسحبت جميعهاً في وقت واحد لتشيع الفوضى ، وهناك من يقول إنهم هم الذين فتحوا السجون وأقسام الشرطة ، وأخرجوا المساجين والمجرمين ليثيروا الرعب في قلوب الناس فتتمسك بالنظام .. الثوار في الميادين أما المجرمون وبلطجية النظام فهم المسئولون عن جرائم السلب والنهب وإشاعة الرعب .

" أيها الإخوة المواطنون .... أتحدث إليكم في ظرف دقيق يفرض علينا جميعاً وقفة جادة وصادقة مع النفس تتوخى سلامة القصد وصالح الوطن .

إن هذه التظاهرات وما شهدناه قبلها من وقفات احتجاجية خلال الأعوام القليلة الماضية ما كان لها أن تتم لولا المساحات العريضة لحرية الرأي والتعبير والصحافة وغيرها من الحريات التي أتاحتها خطوات الإصلاح لأبناء الشعب .

أيها الأخوة المواطنون ... لقد جاءت هذه المظاهرات لتعبر عن تطلعات مشروعة ولمزيد من الإسراع في جهود محاصرة البطالة وتحسين مستوى المعيشة ومكافحة الفقر والتصدي بكل حسم للفساد إنني أعي هذه التطلعات المشروعة للشعب وأعلم جيداً قدر همومه ومعاناته لم أنفصل عنها يوماً وأعمل من أجلها كل يوم لكن ما نعانيه من مشكلات وما نسعى إليه من إصلاحات لن يحققه اللجوء إلى العنف ولن تصنعه الفوضى وإنما يحققه ويصنعه الحوار الوطني والعمل المخلص الجاد .

إن جهودنا لمحاصرة البطالة وإتاحة المزيد من خدمات التعليم والصحة والإسكان وغيرها للشباب والمواطنين تظل رهناً بالحفاظ على مصر مستقرة وأمنه وطناً لشعب متحضر وعريق لا يضع مكتسباته وأماله لمستقبل في مهب الريح .

إن أحداث اليوم والأيام القليلة الماضية ألقت في قلوب الأغلبية الكاسحة من أبناء الشعب الخوف على مصر ومستقبلها والتحسب من الانجراف لمزيد من العنف والفوضى والتدمير والتخريب وإنني متحملاً مسئوليتي الأولى في الحفاظ على أمن الوطن والمواطنين لن أسمح بذلك أبداً .

لقد طلبت من الحكومة التقدم باستقالتها اليوم وسوف أكلف الحكومة الجديدة اعتباراً من الغد بتكليفات واضحة ومحددة للتعامل الحاسم مع أولويات المرحلة الراهنة .

***

٤٠

الساعة العاشرة صباحاً في ميدان التحرير .. شمس الشتاء الحانية تقبل وجوه الثوار المعتصمين .. آلاف من الشباب والرجال والنساء يتدثرون بملابسهم .. يفترشون أرض الميدان ويلتحفون سماءه .

" كانت تداعبنا الشوارع بالبرودة والصقيع ولم نفسر وقتها
كنا ندفئ بعضنا في بعضنا ونراك تبتسمين ننسى بردها "
" طعاميَ : الكسرةُ .. والماءُ .. وبعضُ الثمراتِ اليابسة .
وها أنا في ساعة الطّعانْ
ساعةَ أن تخاذلَ الكماةُ .. والرماةُ .. والفرسانْ
دُعيتُ للميدان !

– أتذكر يا زياد الندوة الدينية التي أقامتها المدرسة في أول هذا الشهر .

– الندوة التي حضرها الحاخام والطلبة اليهود .

– نعم .. نعم .

– ما لها ؟

– أتذكر ماذا قال الحاخام اليهودي ؟

- قال كلاماً كثيراً سخيفاً .. ماذا تقصد بالضبط ؟ ولما تذكرت هذا الرجل الآن .

- كل ما ذكره الحاخام أكاذيب فندها الشيخ مصطفى والقس زكريا ، لكن سؤالاً واحداً وجهه لي أشعرنا جميعاً بالخجل ، ولم يستطع أحد أن يرد عليه .

- ما هذا السؤال ؟

- نحن دولة ديمقراطية ، بعكس دول أخرى كثيرة تُزَور فيها الانتخابات فلا تسمع لشعوبهم صوت ، يحكمهم رؤساؤهم بقانون الطوارئ منذ نصف قرن فيقبلون الذل ولا يثورون .. أليس هذا صحيحاً يا ناصر ؟ .. ورغم عنف ردي عليه فلقد كنت أشعر في داخلي بالخجل .

قال زياد مازحاً :

- لذا قررت أن تقود ثورة للتخلص من هذا الخجل وتثبت للحاخام ...

- لا تمزح يا زياد .. إن الأمر جد لا هزل فيه ..

- أنا آسف يا ناصر .. أكمل .

- شعب مصر شعب عظيم ، وله تاريخ مجيد وحضارة لا مثيل لها الشيء الوحيد الذي كان يصم تاريخنا كله الاستبداد السياسي، وتسلط الحكام علينا .

– نعم .. نعم .. أنا أريد أن اعترف أن لك بالفضل الكبير في التغيير الذي حدث لي .

– لقد تغيرت كثيراً يا زياد .. من كان يصدق أن زياداً الفتى المدلل يتحول إلى ثائر في شهر واحد .

– معظم من ترى من هؤلاء الشباب كانوا مثلي لا علاقة لهم بالسياسة ، ولا همَّ لهم إلا حياتهم الخاصة .

– إنهم يحملون جينات صانعي أعظم حضارة في التاريخ القديم والوسيط.

– وللأسف لا تظهر هذه الجينات إلا وقت المحن .. ترى هل تنجح الثورة يا ناصر ؟

– لا شك عندي في نجاحها ؛ فالنظام يلفظ أنفاسه الأخيرة .. كل ما أخشاه بقاء جسد النظام حيّاً بعد سقوط رأسه .

تمت أحداث شهر يناير ٢٠١١

***

كتب المؤلف

كتب دينية

١ – ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢ – ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣ – الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤ – المدارس السلفية وجدلية العقل والنقل والمصلحة .دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية

١ – آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢ – العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو "" "" "" ""

٣ – إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي "" "" "" "" ""

٤ – نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي "" "" "" "" ""

٥ – أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العـــداء "" "" ""

٦ – هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية "" "" "" ""

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١ – الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢ – اليهود والصليبيون الجدد . دار الإبداع للصحافة والنشر

٣ – اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة "" "" "" ""

٤ – إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" ""

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ

زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . "" "" "" ""

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (ثماني قصص) زهور المعرفة والبركة

كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة في العالم

(١٤) كتاباً جامعة هارفارد رقم ١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٢) كتاباً جامعة استنافورد رقم ٣ في الترتيب العالمي للجامعات .

(٤) كتب جامعة كاليفورنيا رقم ٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة كولومبيا رقم ٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٦) كتب جامعة برينستون رقم ٨ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة أكسفورد رقم ١٠ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٧) كتب جامعة ييل رقم ١١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٢) كتابان جامعة بنسلفانيا رقم ١٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة واشنطن رقم ١٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة ميشيجان رقم ٢١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة كيوتو رقم ٢٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة تورنتو رقم ٢٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة إلينوي رقم ٢٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٦) كتاباً جامعة كورنيل رقم ٢٩ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتب جامعة دوكي رقم ٣٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتب جامعة تكساس رقم ٣٦ في الترتيب العالمي للجامعات.

هذا بخلاف كتب المؤلف العديدة الموجودة في مكتبات الجامعات الأجنبية الأخرى غير هذه الجامعات .

كتب للمؤلف في مكتبات الجامعات العربية

(٢) كتابان جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.

(١) كتاب جامعة الملك فهد – المملكة العربية السعودية.

(١) كتاب جامعة الإمام محمد بن سعود – المملكة العربية السعودية

(٢) الجامعة الأردنية ، المكتبة المركزية .

(١) كتاب جامعة الحسين بن طلال– الأردن.

(٢) كتاب جامعة اليرموك – الأردن .

(٢) كتاب جامعة مؤتة – الأردن.

(٣) كتاب الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا ، المكتبة المركزية .

(٢) كتاب جامعة السلطان قابوس — سلطنة عمان.

(١) كتاب جامعة الإمارات — الإمارات العربية المتحدة.

(٢) كتابان جامعة النجاح — فلسطين.

(١) كتاب جامعة الأزهر الشريف — جمهورية مصر العربية.

(١) كتاب كلية دار العلوم — جمهورية مصر العربية .

(٢) كتابان كلية التربية - جامعة المنصورة - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الآداب - جامعة بني سويف - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الزراعة - جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب المكتبة المركزية - جامعة بنها - جمهورية مصر العربية

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية

(١٢) كتاباً في مكتبة الكونجرس الأمريكية.

(٢) كتاب في مكتبة الإسكندرية.

(٣) كتب في مكتبات مبارك العامة.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الشباب الإماراتية.

(١) كتاب في مكتبة المجلس الوطني اليمني.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الخارجية أبو ظبي.

(٢) كتاب في مكتبة مسجد البيرة الفلسطيني.

-كتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية ، والأجنبية والمواقع الالكترونية.

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون"

التليفون المحمول : 01226406489

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***